زكريا الخطيب

برج من الخراب

رواية بوليسية

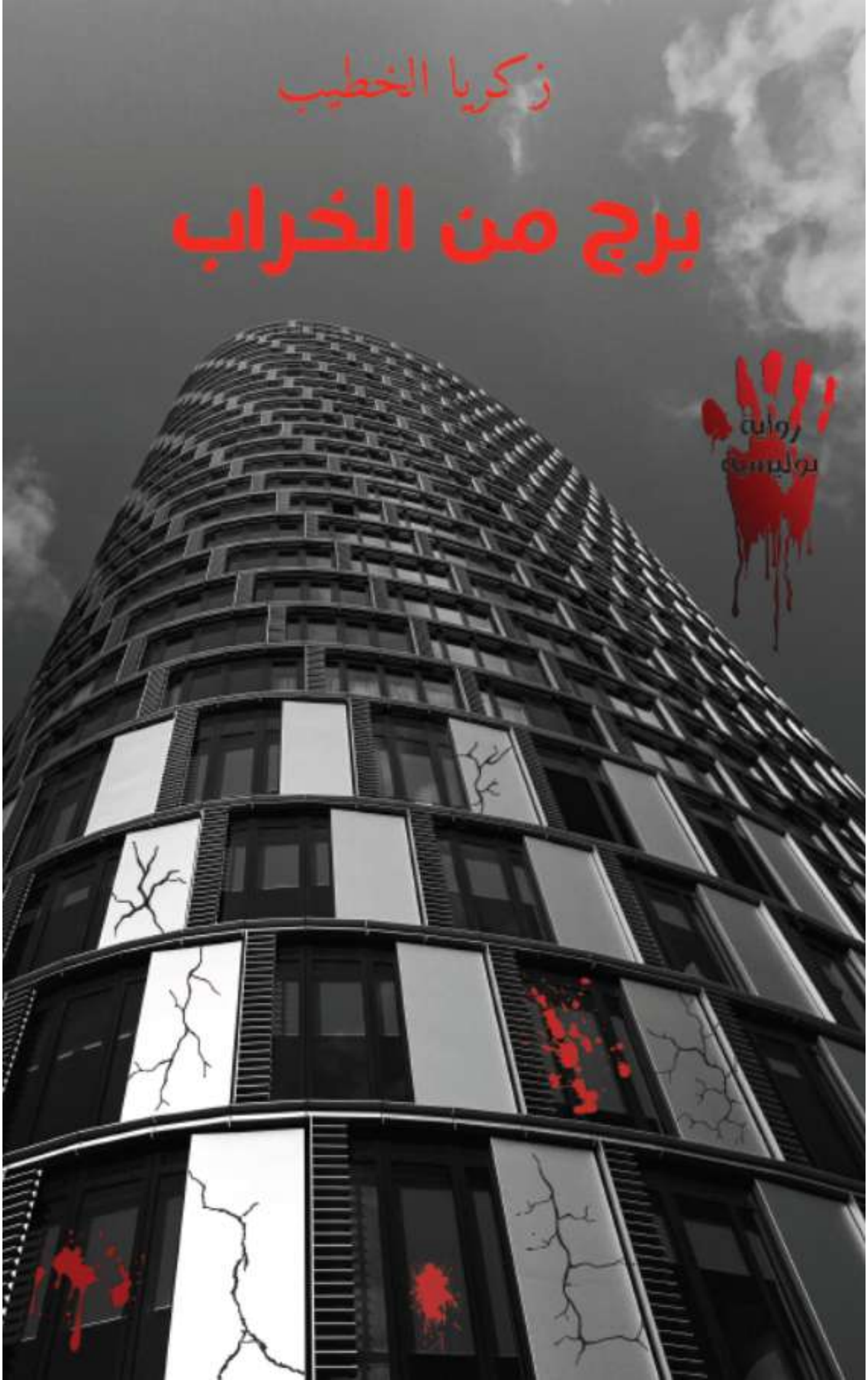

برجٌ من الخراب

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية الأردنية
(2022/11/5618)
جميع الحقوق محفوظة للمؤلف يمنع نشر الرواية أو أي فصول منها الا بموافقة خطية من المؤلف

لابداء الملاحظات أو النقد البناء يرجى التواصل:
EMAIL: pwzakariaalkhateeb@yahoo.com

الفهرس

1. صاحب القصة الغريبة
2. رسائل تهديد من مجهول
3. بيت الريف
4. عمارة الصياد
5. جريمة قتل في شقة سالم
6. جريمة قتل النقيب أشرف نور الدين
7. ملابسات جريمة الانفجار
8. وتمضي الأيام
9. في طريقنا إلى الغابة
10. مركز التحقيق السري
11. رجلٌ بمعنى الكلمة
12. موعدٌ في منزلٍ خشبي
13. الرجل الأجود
14. مزارع الأَرُز
15. قرية ترقد في أسفل الوادي
16. سيكون صديقًا أم عدوًا
17. نصيحةٌ من ذهب
18. في بيتٍ ينقصه بيت
19. "شيفرة" بلغة ما
20. لغز الشمس
21. رأس الأفعى
22. المقبرة العظمى
23. جريمة في البيت المهجور
24. ما يتمناه الكبير قبل الصغير
25. فندق نجوم بين الأزقة
26. نذير خير أم شر
27. مفتاحٌ في جعبة الحكومة
28. أراه لأول مرة
29. انشق قلبي نصفين

30. النجم الخلاب
31. الدول السوداء
32. لا يمكن الاستغناء عنه
33. جزيرة الحرية
34. مدينة جرسي
35. مصائد الحيرة
36. جريمة قتل طبيب
37. خائف من القتل
38. الأمل يتلاشى
39. في غياهب السجون
40. محاكمة سرية في علن
41. ما أجمل أن نضحي من أجل الحب!
42. قلوبٌ ترى طريقها
43. عرف عدوه وما زال يحبه

إهداء

أنا سفينةٌ في بحر الحياة

أُثبت شراعي بحبل النجاة

وتحرك دفتي يد الصَبا

أحفُ دوامةً ثم أمضي إلى العلا

وقائدي له قلب وعينٌ لها سنا

تعمي عني كيد قرصانٍ إن دنا

أنا السفينة وقائدي أمي وأبي

وحبل شِراعي أخوتي وأخواتي

ولطف الصَبا أمنياتي ودعواتي

ونور شريكةِ مستقبليِ ظلام أعدائي

هي سفينةٌ تُنشد لحنَ حياتي

رحم الله والدي أ.د/ محمد إبراهيم الخطيب وقد قدم لي الدعم الكبير وجعل حياتي مليئة بالحب.

نحن في الثالث والعشرين من شهر أيلول إذ أنهيتُ دراسة العلوم الجنائية في لوس أنجلوس ثم عُدتُ إلى وطني الدلتا الحبيبة وفي إحدى مدنه في مدينة التحرير كان منزلُ عائلتي.
وصلتُ منزلي بعد رحلةِ سفر دامت اثنتي عشرة ساعة بالطائرة، كنتُ متعبًا فما إن وصلتُ غرفتي حتى غططتُ بنوم عميق. لم أعرف كم ساعةٍ نمت ولم أستعيد وعيي إلا عندما جذبت أختي غطاء النوم عني بحركة طفولية وقالت: استيقظ، كفاك نومًا، ثم أزاحت ستارة النافذة فإذا أشعة الشمس تغزو المكان.
أختي: لا تتأخر أمي تنتظرك على المائدة...
إنني محمد الأمين، وقد قارب عمري الخامسة والعشرين، ذو عيون بنية كعيون فرس أصيل قد خضبتا منذ خلقتا. وأختي اسمها رقية إنها شابة في عقدها الثالث تدرس هندسة العمارة في جامعة المنبر وقد اقتربت من التخرج.
أمي: لقد اشتاقت لك كل زواية في بيتنا..
كُل يا بني لابد أنك سئمت من أكل المطاعم.
لم أنسَ سنوات دراستي قط ، فبينما كنت أعيش في مجتمعٍ غريب لا يعرف عاداتي تعرفت على نفرٍ من أبناء بلدي كصديقي أحمد فقد كان لي سراجا فيً ظلام الوحدة، وقد درس معي العلوم الجنائية في جامعة كاليفورنيا.
أمي: ما رأيك في دعوته للطعام؟
محمد: فكرة جيدة، وسأدعو أخته لتتعرفا إليها.
رقية: لعلها تكون من نصيبك وتنسيك محبوبتك جوليا.
لا تذكريني بها مجددًا.
إن جوليا شابة طويلة القامة جميلة كسماء صافية، و كانت تصغرني بعامين، وقد عرفتها قبل سفري بخمس سنوات تقريبا. تقيم عائلتي في منطقة شعبية اسمها الصياد الواقعة في مدينة التحرير ، وقد سطر أجدادنا التاريخ فيها،وتشتهر بصناعة الأواني النحاسية والتحف، تحتوي على مركز أمني وقد أُخترت لأكون محققا هناك.
حضر أحمد وأخته لمى للغداء وبعد لحظات على قدومهم طُرق الباب فكان جارنا الطاعن في السن، وشارباه المفتولين لأعلى يشبهان مكنسة قش جديدة... شاركنا العجوز الطعام إلا أنه بدا مقززًا بأسنانه الصفراء كمشط الفلاح ممتلأ بالطين ، اشمأزت رقية فقفزت فورًا إلى دورة المياه.
العجوز: ما بها.
محمد: لا شيء، تصرفات طفولية فقط.....
اكتفت لمى بالصمت معظم الزيارة؛ فهي متحفظة جدًا وتُفرج عن كلمات قليلة فقط من فمها كل نصف ساعة .
بعد أن غادر الزوار وقفت على الشرفة أوزع نظري في الشارع، تذكرت ذلك المقعد الذي رسمت عليه مع جوليا أحلامنا بالقلم والمسطرة.
هل بالغت بحب جوليا؟
رقية:لا لكن أمها لم توافق على زواجكما، يا أخي اخرج من وراء الأطلال ....جوليا ماتت؟!
رجعت ذاكرتي للوراء أنا الان محقق مركز أمن الصياد....

صاحب القصة الغريبة

مرت الأسابيع وأنا في مركز الأمن بين الجرائم المتعددة ،وفي إحدى الليالي المغبرة وفي طريق عودتي ألقى شخص بنفسه أمام سيارتي . كان رجلًا شعره كثيفٌ يصل إلى أكتافه، ذا عيونٍ مثقلة بأجفان كبيرة.....

محمد بحزم: من أنت؟

الرجل : أرجوك ساعدني ...

محمد: ما هي مشكلتك؟

فقاطع الرجل وقد كان اسمه سالم: لنهرب أنا مراقب ..

بعد أن ابتعدنا كثيرا بالسيارة، من كانوا؟

سالم: رجلان من عصابتي .....استرسل: أظنك أهلٌ للثقة ...

هناك شيءٌ سيحدث لدولتنا فقبل أيام قابل رئيس عصابتي الخفاش أشخاصًا عملاء للعدو واتفقوا على عمليات ارهابية.

انتبه لكلامك أنا سريعٌ باستعمال مسدس.

سالم: ما أخبرك به يهدد حياتك ....فإن عشت أنت ومت أنا أرجوك أحمِ عائلتي ...تابع حديثه –بإصرار-إن عمل عصابتي قد تغير من عمليات سطو، وفرض حمايةً إلى مراقبة شخصيات متعددة ... أُمرتُ بمراقبة شخصية اسمها جون فرات.

..لا آبه لقتلي لكني أخاف على أولادي أن يصنعوا منهم مجرمين مثلي. إن عصابتي تطلبهم للعمل وقد كبروا كثيرًا.

لعلك تبالغ قليلا.

سالم : صدقني، هناك خطر يخطط له العدو لذلك تحرى وتحقق...وسأعطيك قريبًا دليلًا يثبت ذلك.

لماذا لا تعطيني إياه الآن؟

عندما أحصل عليه سأعطيك اياه.

كيف ستحصل عليه؟

من مصادري داخل العصابة

تابع: إن بقيتَ حيًا وحميت معركتك مع عملاء العدو استخدم الأدلة التي سأوفرها لك للضغط عليهم ، وكافح حتى لا تموت بين الأقدام..

هل نستطيع بتلك الأدلة أن نسجنهم..

لا أعلم عن تلك الأدلة الا القليل لكني أظن أنها أدلة قوية...

...اذهب إلى مكان آمن، لكني لا زلت لا أصدق مجرمًا.

رسائل تهديد من مجهول

أثار فضولي ورقة على الطاولة في غرفتي...كُتب فيها:
*** عش بسلام بين الناس النيام، ولا تقحم نفسك في شيءٍ سيضرك وحاول أن تتعاون معنا عندما تحين فرصتك لتنعم بالمال***
بدأت أشعر بأمر مريب يقترب مني هل له علاقة بتلك المقابلات مع العدو؟ فتحتُ التلفاز فسمعت كلمات قائد عسكري لبلدنا: إن الدول من حولنا توتر وأزمات وسنرد بيدٍ من حديد على كل من تسول له نفسه العبث بأمننا أو كرامتنا.
رن جرس الباب: أرجو ألا تكون عصابة سالم تتبعوا أثري ليضروني..لا لا، لعله كاذب بارع..... حاولت النظر من فتحة سرية بالباب.... لقد كانت أختي رقية.
محمد: آه منكِ.
رقية: لماذا وجهك مصفر؟
ألم تكوني في زيارةٍ لخالتي؟
صديقتي تريد مقابلتي لأمور تخرجنا ...سآخذ بعض الكتب ثم سأذهب....
لم أتجه إلى عملي في هذا اليوم بل مكثت في المكتبة وبقيت حتى مضى النهار وحل الليل... وفي طريقي إلى بيتي رأيت فتاة تقترب مني بحذر.
محمد: ما بالك يا آنسة؟
تنهدت الفتاة: أنت أخو رقية ...
أجل.
الفتاة: أنا بالكاد أستطيع الكلام إن أناسًا هددوني بالسلاح وأجبروني أن أطلب من رقية مقابلتي، لكنهم قبضوا عليها ... وأعطوني هذه الرسالة:
لا تظن أن وظيفتك تسمح لك بالتجول حرًا في هذه المدينة، تخلى عن مبادئك وساعد العصابات لتحقق العدالة وفق قوانينا لا قوانين من يدعون الفضيلة ولا تحاول استفزازنا بعصيانك لنا حتى لا يقع الأمر برأسك .....وأختك سترجع إليك قريبًا ونحن عصابة ستعرفنا لاحقًا.
هل لقصة سالم علاقة بخطف أختي أم بكوني محققا وقد أذيت أحدهم؟... وما علاقة الرسالتين ببعضهما ؟

بيت الريف

ذهبتُ إلى بيتٍ ورثته أمي عن جدي في الريف؛ فقد كنتُ أزوره أحيانًا لعدة أيام باحثًا عن الهدوء بعيدًا عن صخب المدينة.. طلبت أحمد لعله يساعدني ثم أخبرته بقصتي كلها...
قلت: سأقدم طلبًا للوزارة لنقلي لعملٍ إداري.
لابتعد عن مجال التحقيق.
أحمد: ماذا ستقول لأمك عن رقية؟
أخبرها أني في مهمة مستعجلة خارج البلاد وأن أختي قد سافرت مع صديقتها لعدة أيام إلى الساحل الغربي، وسأتصل بين الحين والأخر لأطمئن عليها.

لن تصدق ذلك..ستقول ما هذه الرحلة الطارئة؟...لماذا لا تبقى بقربها؟
إذا نظرت أمي في عيني فسأخبرها بكل شيء... أين أختك؟ كيف تركتها تخطف؟ لماذا لم تحميها؟....
صمتنا قليلًا ثم استأنف أحمد: يثار حولك الأقاويل أنك تتغيب عن عملك وأنك بحالة مزاجية سيئة.
كيف سأكون وقد خطفت أختي .....مسرورًا
هم لا يعلموا بما تمر به من بلاء لذا حافظ على عملك
من أرسل لي رسائل التهديد؟ ليس لأحد مصلحة بخطف أختي إلا عصابة سالم فذهبت إلى أول مكان للقائنا أبحث عنه ومضت ساعات حتى التقيته.

عمارة الصياد

أين اختبأت؟
سالم: إذن لقد صدقت قصتي.
ليس تماما.
سالم: هل نبهتك عصابتي على أنها المسيطرة في المنطقة.
أين خطفتها؟
سالم: عن ماذا تتحدث؟ أي خطف؟
أرحني أرجوك، أين أختي؟
عصابتي لم تخطفها.
تتكون تلك العمارة من عشرة طوابق بشُرفٍ قريبة من بعضها البعض على غير المعتاد بالبناء وقد كانت مضاءة المصابيح، جاء في وجهنا أمام بابها رجلٌ مسنٌّ.
محمد: مرحبًا.
وقف الرجل أمامنا ونظر إلينا –باحتقار-
من هذا الرجل؟
سالم: لا يمكنني أن أجبره على محبتي.

كان سالم يسكن في الطابق الخامس.
كيف سأجد أختي؟
سالم: سنتكلم غدًا في ذلك.
ثم تابع: سأنام الآن
ماذا؟ ألست قلقًا؟
لا أفهم هذا الرجل لماذا لم يعد خائفًا كما قابلته أول مرة ؟ غريب أمره ما زال الخطر الذي ينتظر دولتنا لم يحل .
استرسل سالم: لا تخف لك عمر طويل فلديك ما تفعله الأيام القادمة، وسأحاول الحصول على أدلة تساعدك في معرفة عملاء العدو...والاتفاقيات..
ثم رمى نفسه على السرير دون أن يخلع حذاءه.

محمد: لولا حاجتي إليك ما تحملت وجهك القبيح.
جاء الصباح، سالم: كيف كانت ليلتك؟
قُرع الباب قبل أن أرد.
سالم: إنهم أصدقائي.
تفضلوا ....أصدقائي عمران، وسيف وفاتح. وهذا صديقي محمد.
فقالوا بنفسٍ واحد: تشرفنا.
عمران: أظنك محقق هذه المنطقة؟
محمد: صدقت.
سيف: لقد جئنا نشرب القهوة سوية، طُرق الباب مرة أخرى.
قال الزائر: آسف على الإزعاج، أريد معقم جروح؟ وف، سأتأخر على جامعتي ويدي تنزف... كان اسمه آدم، ذو شعرٍ براق ويلبس "بدلة" على حذاء بيتي .... عمران: كيف كانت سهرة أول أمس؟
سالم: جميلة جدًا لقد أراحت عقلي لبعض الوقت.
فاتح: سبحان الله، كانت سهرةً براقة مع أنني لم أنوِ الشرب؟
سالم: أظن محمد لا يرغب بهذه السهرات ...انسوا أمرها الآن.
سيف : هههههه، لن نتعامل مع ذلك المتجر مجددا فنبيذه رديء.
سالم: لم يخطئ من قال لك أحمق غبي. بدأ الشجار بين سيف وسالم؛ واستمر حتى طلب الضيوف المغادرة.
وعند باب البيت كنت أتمعنهم جيدًا، كان سيف قصيرَ القامة وطويل اليدين، وشعره "كليفة " استحمام متشابكة بالخيوط، والثاني عمران عيناه كعيني البومة فلم يرحني بنظراته قط. وأما الثالث فهو فاتحٌ -فتح الله عليه -فلم ينفك عن التسبيح، ولكن هذا النوع من الناس ما أخشاه.
محمد: لماذا سكنت عند هؤلاء المجرمين؟ رمقني سالم بنظراته.
أتريد أن نقدم أنفسنا هديةً لهم ليقتلونا؟
لن أتركهم يغدروا بنا.
هل ما زالت عصابتك تعمل مع العملاء؟
أجل، للاسف.
من يسكن هذه العمارة؟
إن معظم السكان فيها طلاب مغتربون يبقون طيلة دراستهم وهناك من يبقى مدة قصيرة ويغادر فور انتهاء رحلته السياحية .
محمد –شاردًا- : هل سأستطيع إنقاذها؟ إنك لم تخبرني الكثير ومن سيصدق الخطر العظيم من مجرد تكهنات.
سالم: انتظر الأدلة فقط...
أخاف أن يؤذوا أختي ولا أعرف من خطفها ولماذا؟ فأنا لا أملك أدلة عن المقابلات سوى شهادتك..
اتصلت بأمي لأطمئن على حالها، أخبرتها أن أختي اطرت للذهاب إلى الرحلة للتحضير مع صديقتها في شؤون بحث تخرجهم....

هل لأصدقاء سالم يدٌ بالخطف هم أمامي ببساطة وهذا ما يثير استغرابي! رن جرس هاتفي وقد كان رقما خاصًا... تذكرت آدم، ألي عمر طويل يا سالم؟.

جريمة قتل في شقة سالم

مرحبًا، ثم انطلق المتصل يتكلم بصوت مشوش: لماذا تتعب نفسك وتقترب من طريقنا؟ اذهب إلى شقة صديقك المجرم؛ فقد تستطيع انقاذ شيء، يا عديم الفائدة .....

صعدتُ درج العمارة قفزًا... وقد رأيت عمران في طريقي أمام شقته ... كسرت الباب..... تجمع الناس حولي....جاء آدم الجامعي ....وأمامي يقف سيف وفاتح و عمران. إن بيت سالم كما تركته لا يوحي بحدوث أي أمرٍ مريع ..... شممتُ رائحة دخان كان ينبعث من المطبخ ، لكن المشهد أصبح أمامي في غرفة الضيوف. فأنا أرى جثة ممددة تتدفق الدماء من ظهرها ووجهها أزرق يميل إلى السواد، وفمها مفتر قد قتلت به الحياة .. هناك حريق اشتعل بنافذة المطبخ، ...كانت قضبانها مقصوصة بآلة كهربائية... لاحظ الجميع وجود عبارات مكتوبة بخط متعرج "أنا ما ذنبي" على كف الضحية وبجانبها ساعة بعقد طويل.

...إن سالمًا قد فارق الحياة رأينا ورقة بجانبه ....فتحتها فقرأت:عائلتي الحبيبة أتمنى لكِ مستقبلا زاهرًا بدوني، بعيدًا عن المشكلات التي سببتها لكم مرارًا. هناك محقق المنطقة سيساعدكم كثيرًا .

جاء معاذ ياسين أمين الشرطة، إنه شابٌ رفيع الساقين كعصا خشبية، وذو مبسمٍ ظريف.

قال الطبيب الشرعي: لقد كُتبت عبارة " أنا ما ذنبي" بيدٍ ترتج فالحروف غير متناسقة ..... هناك جروح ثلاث طعنات في ظهر الضحية.

حضرت زوجة المتوفَى، وولديها اللذين أجهشا بالبكاء، إذ كان أحدهما يبلغ الخامسة عشر من العمر، والآخر في سن العاشرة.

محمد بصوت ثابت: من قد يقتل زوجك؟

زوجة سالم بصوت متقطع : لا أعرف المحيط القذر لعمل زوجي...ثم عاد صوتها ليثبت :لكني لن أغفر لمن قتله .....ثم عادت بعد أيام تقول : لقد أخبرني سالم قبل مدة عن شخصٍ يدعى الخفاش بأنه قد طلب ولدينا للعمل ....سالم: لقد نغص علي الخفاش سعادتي في وقت كنت في طريقي إلى عمل نبيل .....ذهبتُ إلى صديقي أحمد في مركز أمني آخر... كان لديه ضيفٌ اسمه أشرف نور نقيب في الأمن العام، كان يحاول اقناعه ليتعامل بالرشاوى، وأن هذا سيزيد راتبه القليل أضعافًا كثيرة.... فغضب أحمد منه -وهذا ما فهمته-

اجتمعنا في المكتب فبدأت: مَن تتهمون الآن بالقتل؟

أحمد: إن أقوى المتهمين هم ...عمران وسيف وفاتح أو أحدهم؛ فقد كان لهم مع الضحية مدًا وجزرًا.

فرد معاذ: هل هم أغبياء ليقتلوه بعد أن وقعت بينهم بعض الخلافات مؤخرًا؟

إن الطبيب عيمه هو مالك عمارة الصياد التي يسكنها سالم، وقد كان يراه مجرمًا سفاحًا.

أحمد: لكن لا أظن أنه يقتل؛ فهو نزيه ومسالم.

معاذ: لعل الطبيب أراد أن ينظف المجتمع.

محمد: متى قصت قضبان النافذة؟

معاذ: أظن أن القص حدث قبل الجريمة بأيام.

محمد: بالتأكيد، ولا شك أن المهمة أسهل على أصدقائه.

جاء في مخيلتي المتصل المجهول وسالم صاحب الشخصية المتناقضة وعمران والخفاش والنقيب أشرف نور الدين.

همس معاذ في أذني: ما هي علاقة أحمد بهذه القضية؟
جاء ليساعدني.

كان لي صديقين في ذلك الوقت أحمد وعمر صديق الطفولة، الذي حلم أن يكون صحفيًا مرموقًا ..وقد انقطعت أخباره عني من سنوات.
وصلنا عمارة الصياد فرأينا أمامها عمران مخمور يغني ....نظر إلينا دون أن يلقي أي عبارة ترحيب. معاذ: هل أقبض عليه؟
محمد: لماذا؟
معاذ: لعله يزعج المارة بثمالته.
اتركه حتى يذهب إلى سريره ثم يستعيد عقله في الصباح.
هل تذكران عبارة "أنا ما ذنبي"؟
أحمد: كانت كخربشة طفل على دفتره.
معاذ: أظن أن القاتل قد كتبها بخوف كبير.
....وجدت خيوطًا على الأرض وبجانبها منشفة متسخة.
محمد –مستفسرًا- : هل دخل القاتل الشقة من الباب أم من الشرفة.
معاذ: ربما تسلل من النافذة أو كان ضيفًا ثقيلًا على الضحية.
محمد: إن شخصاً نحيلًا مثل عمران يمكنه أن ينفذ ذلك.
معاذ: لقد استعملت المنشفة لخنق الضحية ....
طُرق باب الشقة..فكان شاب اسمه راغب ....
راغب: أعانكم الله على هذا الأمر، لا تترددوا بطلب المساعدة وداعًا ....إنه رجل حسن الهندام مهذب في كلامه ويبالغ في الحديث عن نفسه.
ذهبث إلى بيت عمران.
محمد: هل هذه الورقة كتبها سالم؟
عمران: لا يمكنني أن أميز بين الخطوط ليس ذلك من مواهبي.
كم الساعة الآن؟
مد عمران يده إلى داخل قميصه وكأنه يبحث عن قلادته لكنه عاد ليقول: انظر ساعة الحائط هناك، ثم وكأن شيئًا لم يعجبه قد جعله يقول بغضب: هل تريد شيئًا آخر؟ لأني سأغادر البيت الآن..
لماذا غضب عمران؟ كأنه ندم على شيءٍ .....آه يا سالم لماذا كنت تقول لي لا تخف لك عمرٌ طويل؟ ! بحثت عن أوراق في شقة سالم مكتوب عليها بخط يده لكن المفأجاة كانت بأن الخط في الوصية يختلف عما هو في هذه الأوراق... إذن من كتب الوصية، هل هو القاتل ليشوش تحقيقنا أم من يكون؟

الأحلام المزعجة لم تترك لنومي فرصة ليكون مريحًا.

كان معاذ ينتظرني في المركز الأمني ، محمد: ربما القاتل عمران، أو سيف، أو فاتح ...إنهم أشخاص غريبو الأطوار ...أو الخفاش الذي لا أعلم عنه الكثير ...أو ـمستر- عيمه لذا أريد معلومات استخبارية عن الجميع

معاذ: إن أقرب الساكنين أشدهم اتهامًا إن جاء القاتل من الشرفة.
حضر مستر عيمه ،من يسكن في الطابق السادس؟
إنه قاطن جديد صاحب معطف ولا أذكر اسمه جيدًا .....تذكرت لقد دفع ايجاره صباحًا وسيترك شقته بعد أيام.
معاذ يتكلم بسرعة: ربما وجدنا القاتل...
ذهبنا إلى شقته لكنه لم يكن موجودًا فيها.
محمد: لا تزال خيوط الجريمة معقدة.
معاذ: كيف أبحث عن هذا الرجل؟
أحمد: لعل رحيله مجرد صدفة.
محمد: أريد بيانات ذلك الرجل أيها الطبيب.
معاذ: أظن بياناته الشخصية وهمية.
من يسكن في الطابق الرابع؟
الطبيب: كلهم طلاب كانوا في جامعاتهم وقت الجريمة باستثناء آدم.
وفي الطابق الثالث يسكن يامان ...كانت ملابسه تشبه رجال الكوبوي، زنجي وشعره أشقر وطويل ....

معاذ: وفي الطابق الثاني يسكن راغب ودائمًا عطوره فواحة.
محمد: سيكون متهمًا أيضاً.
الطبيب: أظنني لن أكون القاتل؟
محمد: لا تنتظر مني أي اجابة...
الطبيب: لماذا تهتمون كثيرًا بموته فقد سكن ذلك الأحمق عندي ثلاث سنوات لم يدفع ايجارها وهذه أوراق القضية القضائية لطرده ....لا، سأسامحه.
تابع: إن عطلة الشتاء اقتربت، وسيغادر الجميع بما فيهم القاتل.
بقيت وحدي في ظلام الليل والحيرة من أمر سالم تؤرقني فعندما قابلني أول مرة طلبت منه أن يسكن قريبا من مكان لقاءنا في مكان آمن، فكيف اختار مكانًا يسكنُ فيه منذ ثلاث سنوات عند رجال عصابته؟ قد تكون هذه القضية فرصتي لأجد أختي.
في سكون الليل ترتكب الجرائم وفي حالة السُكْر يقتل الرجل والده وليس صديقه....

في الصباح جاءني معاذ: إن يامان يعيش حياته بين الريف والمدينة وقد درس بعض الفنون القتالية، كفنون السلاح الأبيض.
محمد: قد تتمكن منك سيكنه بطرفة عين.
معاذ ـمقاطعًا-: إن نال مني.
انتظر، قد تكون نافذة شقة القاتل مقصوصة..

بدأنا بشقة آدم الذي سعد بمجيئنا، ولكني أستغرب شعوره ونحن نتهمه.
معاذ: لعله يبعد الشبهة عنه.

كانت نافذة أصدقاء سالم لا تحتوي على قضبان أصلًا....
فأجاب عمران بتوتر: منذ أسبوع خلعتها.
جاء سيف بعجل: ما المشكلة؟
محمد: عمران من قتل صديقكم..... فاتح: إنه أحب أن يثمل على الشرفة فخلع قضبانها.
فقلتُ مستهزأ: هل مَل من الشوارع أم أنه يريد الانتحار؟
إن أقدامكم في السجن ....عمران: أنا لا أقتل صديقًا.
محمد: صدقت، وكذبت في آن واحد لأنه زميلك في الإجرام ....
سيف –منزعجًا- :أكرهك أكرهك يا سالم ... مثيرٌ للمتاعب حتى وأنت ميت.
طلبنا من المتهمين أن يعيدوا كتابة الوصية بخط أيديهم ثم استعنا بخبير الخطوط الذي بين أن الوصية لا تعود لأي منهم.... إذن هل القاتل صاحب المعطف، أم هو شخصٌ لا يسكن في العمارة أصلًا... أم ماذا؟
حملت حقيبتي راحلًا وملف القضية مازال شائكًا كان -مستر- عيمه كئيبًا ...ألقيت التحية فلم يردها بشيء...فعمارته الحبيبة ستصبح مملكة للعناكب، ومسكنا للظلام فمن سيعود ليسكن قريبًا في موقع جريمة قتل؟
رحل أصدقاء سالم عن العمارة لأنهم فقدوا صديقا عزيزًا فيها -على حد قولهم-.
.....ذهبت إلى بيتي وأخبرت أمي متمالكًا أعصابي بأن أختي قد خطفت وبأنني أقوم بأقصى جهدي لايجادها والتواصل مع الخاطفين وبأنني سأغيب بعض الأيام عن البيت. سكنتُ في إحدى الشقق الفندقية باحثًا عن صفاء الذهن لكنني لن أترك أمي وحدها وسأبقى أزورها مطمئنا بأن لمى تمر عليها بين الحين والآخر وتقوم بطلباتها. ...عرض –مستر- عيمه عمارته للبيع وكأن القضية طويت وهرب الجاني بفعلته
تذكرتُ عمر الذي حلم أن يكون صحفيًا،وراغب الشاب حسن الهندام وتذكرتُ ثمالة عمران التي تجعله يكتب "أنا ما ذنبي" كخربشة طفل صغير ، والقضبان المخلوعة والشُرف الصغيرة التي لا تتسع إلا لشخص نحيل، وتذكرتُ يامان صاحب خفة اليد مع السكاكين وتذكرتُ صاحب المعطف وهروبه، وتذكرتُ قلادة الساعة وفقدان عمران لها.

جريمة قتل النقيب أشرف نور الدين

لم يمضِ سوى ثلاثة أسابيع حتى كنت بصدد حادثة جديدة... أمام شقتي الفندقية رن هاتفي ... كان المتصل أشبه بصوت يأتي من بئر ....فخاطبني: أسرع أيها الحنون؛ فهناك جثةٌ تنتظرك في سوق النحاس في بيت قرب متجر العريق ..... كانت غرفة البيت الأمامية مضاءة ...طرقتُ الباب لكن لم يرد عليَ أحد من البيت... اقترب مني بعض المارين ..وقال أحدهم: من تريد؟ ... وقبل أن أجيبه ...بدأنا نرى دخانا من نوافذ البيت ...كسرتُ الباب الذي كان أمامي... ..فرأينا الجثة أمامنا ممددة في وسط الغرفة الوحيدة المضاءة... .لقد كانت عيناها تجحظ بطريقة مرعبة ..وكانت باردة كالثلج. قَدمت الشرطة والإسعاف، اجتمع الكثير من المدنيين حولي وبدأوا يخمدون حريقًا بجانب إحدى النوافذ.

جاء الشاب الرفيع كالمقشة .... إنه معاذ: كيف علمت يا سيدي بهذه الجريمة؟
كما عرفت قتل سالم.
شوقتني لمعرفة ذلك المتصل.
ليس بطلاً ...وفظ الكلام ..، قد يكون القاتل أو لا.أعرف....أظنه صاحب المعطف.
معاذ: وفي كف الضحية "أنا ما ذنبي أيضاً".
محمد -مستدركًا- : إن قاتل الضحيتين شخصٌ واحد.
معاذ -بهدوء- : إن الأرضية تمتلئ بالغبار...انظر إلى ما يظهر أمام النافذة المحترقة.... كأنها خطوات أقدام رُسمت على الغبار.
أظن ذلك.
معاذ –متعجبًا- : فيها خطوة اليمين تبتعد عن اليسار.
كأنها آثار ثمل كان يترنح .... الجريمة نار مضرمة بالنافذة وعبارة "أنا ما ذنبي".
لكن هذه المنطقة منظفة تمامًا من الغبار.
محمد: لأن الجثة قد سُحبت فيها، وآثار الدماء تؤكد ذلك.
لا بصمات وقد طعنت الضحية في منطقة الظهر...ووقعت الجريمة في التاسعة مساءً تقريبًا....
..كان اسم المغدور أشرف نور ...رجل متزوج، وقد بدأ عمله في مخابرات الدلتا ثم انتقل إلى الأمن العام ولم يعرب عن سبب انتقاله.
وعند حلول الصباح استدعيت زوجته.. وقد اتصلت على هاتفه مرارًا دون أن تجد من يرد.
زوجة النقيب: أين زوجي؟
إنا لله وإنا إليه راجعون رحم الله زوجك.
كيف ذلك؟
اصبري.
يا الله ...أنا لا أصدق ....وانفجرت بالبكاء -وبصوت متقطع-: لقد مات غاضبًا مني ...كنت أحبه كثيرا ،ولكنه دائما يخونني.
تابعت: ضبطه يتكلم خفية مع فتيات مرات عديدة ....والليلة الماضية قبل أن يغادر البيت أجرى مكالمة فسألته أهي فتاة؟ ...قال لي: يا حبيبتي اهتمي بشؤونك ...واطردي تلك الأفكار عنكِ.
أستذهب لها؟ ...هل هي أجمل مني؟ ...هل قصرت معك بشيء؟
النقيب بغضب: تتعبيني بأسئلتك الساذجة؛ لا يمكنني أن أقول لكِ ولغيرك كل شيء ..ثم خرج غاضبًا.
محمد: اطمئني يا أختي، لن نهدأ حتى نجد القاتل، ثم رحلت...

محمد: من الفاعل؟
معاذ: أظن القاتل فتاة كانت ثملة إن صدق ادعاء الزوجة.
ثم استرسل: هل تعتقد أنها مَن قتلت سالمًا؟
لا، فنحن لم نشتبه بمثلها سابقًا.
إذن ما دور الفتاة؟

قلت –متمتمًا-: لعل هناك رجل أيضاً، فسحب الجثة قد ترك أثار شريك واحد وربما ليس هناك فتاة أصلًا.
معاذ: أين الشركاء؟.
فأجبت: غالبًا الرجل يتجرأ بقوته على الطعن أكثر من الفتاة لكنها من استدرجت النقيب وأضرمت النار لتخفي ملامح الجريمة وربما ليس هناك إلا قاتل واحد...
معاذ: إذن لماذا سُحبت الجثة من مكان القتل لتنظف الغبار؟
محمد: لاأعرف لكن هذه الاحتمالات تثير استغرابي،،، فأي غبي يعرف أن من السهل إزالة خطوات عن منطقة مغبرة... فلماذا لم تفعل الفتاة ذلك؟ وإن لم يكن هناك شركاء في الأصل لماذا حُركت الجثة من مكانها؟.
معاذ: لعلها كانت مذعورة أو مجبرة على المساعدة....
لا أعرف ...قد تكون إشارةً لشيءٍ ما!
لكن لا أظن القاتل غبيًا ، هل هناك فتاة فعلًا؟

معاذ: تبين أن مستر عيمه يملك البيت وقد اشتراه قبل شهر من صديقه الطبيب صادق.
أتعني؟
قاطع معاذ: أظنه القاتل وقد أضرم النار ليورط أصدقاء سالم بهذه الجريمة.

ذهبت إلى مكتب عيمه في المستشفى....كان عنده صديقه صادق الذي تبدو عليه الحنكة والدهاء، ويملك رموشًا كهواية من الريش الكثيف... أحس برغبتي في الحديث فهم للرحيل فسألته: هل بعت من شهر بيتًا للطبيب سعيد؟

بل اهديته للدكتور سعيد
هل تحبه لهذه الدرجة لتهديه بيتًا؟
إن سعيد صديق قديم لي وأعرفه من عشرين سنة تقريبًا ولدي من الملكيات الكثير والحمد لله
رحل الطبيب صادق فسألت سعيد عن البيت فقال بتوتر ملاحظ: ما باله؟
محمد: حصلت فيه جريمة قتل يوم أمس.
الطبيب سعيد –بذهول-: ماذا؟
أين كنت البارحة في التاسعة مساء؟
تلعثم الطبيب ثم قال: كنت في بيتي.
ألديك شهود؟
هل وجودي في بيتي يحتاج.....
فقاطعته: طبعا....مستر عيمه: كنت وحدي في ذلك الوقت.
نريد أي إثبات على ذلك...لم يُجب ...فتابعت: سنتأكد من صدقك.
كنتُ أزور صديقي ، ولا أجد نفسي مضطرًا لأدخله في التحقيق.
كلامك لم يقنعني.
ما المشكلة؟ كون البيت لي لا يعني تورطي بالجريمة
وبماذا تفسر وقوع جريمتين في ملكيتك؟

تركت الطبيب ثم أُصدر قرارٌ بالقبض عليه للتحقيق ، وفي صباح اليوم الآتي ذهبتُ لرؤيته.
اعترف بمعاونتك حتى أساعدك.

معاذ: ما هي أخبار أحمد ؟
محمد: مشغول في عمله.
كيف رأيت الطبيب؟
خوفه رهاب مجرم.
معاذ: أظنه صاحب المعطف، والمتصل كان خائنًا له..
محمد: قد يكون الخائن من الأصدقاء الثلاثة.
معاذ يهز رأسه: محتمل.
بقي أن نعرف الفتاة.
إن تصرفات عمران أصبحت نادمة، مما جعله يخبرني بالقتل لكن متأخرًا.
معاذ : نفس المتهمين.
طلبني الطبيب: أنا لم أتوقع المبيت هنا أرجوك ساعدني .... ثم تركته وهو يتمتم: لقد أُبتليت به ...لقد أُبتليت به.
ما هي آخر أعمال النقيب؟
كان يعيش حالة من الكآبة؛ فقد أخبر أحد أصدقائه بكره للحياة وبؤسها وأنه يفضل الموت على هذه الظروف الصعبة..
كانت تثقله بعض الديون وكان آخرها ربما سيكون لشركة هدايا بعد أن سأل على الهاتف عن سعر بعض المجوهرات والحقائب.
لكن هناك من أرسل إليه على التطبيقات الذكية وأخبره بأفضلية حضوره لاختيار طلبه بنفسه ومعاينة البضاعة أمامه وأرسل إليه الموقع على الخرائط لكن ذلك الموقع كان مكان قتله...
لكن الغريب في الموضوع أن مسرح الجريمة لا يبدو مكانًا لعرض البضائع
إذن ما الذي جذبه ليدخل إلى ذلك البيت؟

معاذ: إن ناطق الشركة قد أعرب عن أسفها .....وشكك أن وجودهم في حيثيات الجريمة من ألاعيب المنافسين، وقررت أن ترسل مندوبًا منها يتابع التحقيق إلى أن تظهر الحقيقة...فعرضت علي أكثر من شخص ...فاخترت أحدهم، لقد كان شاباً مهذباً وطويل الأنف كعلاقة ملابس...
اتصلت لأطمئن على حال أمي لكنه للأسف كان يتجه إلى الأسوأ ورقية لا تغيب عن بالها بل إن الأفكار السيئة عن حالها بدأت تجد في خوفها وشكها أماكن كثيرة لكن يبقى الأمل بالله كبير.
رجعت إلى الشقة الفندقية، كانت مطلية باللون الأخضر فتبدو في النهار كبعض محطات الوقود .....وفي ردهتها استلقيتُ على الأرجوحة ونظرت إلى السماء، إن قمة الأمل التي أحاول جلبها الابتسامة في وقت عيوني تطلب فيه البكاء ....تذكرت صديقي عمر خالد .... كان طويل العنق جميل الوجه وقد بدأت صداقتي له منذ الطفولة... كان طموحا يحلم أن يكون صحفيًا مرموقًا...وتذكرتُ أيضاً جوليا التي غادرت، وتركتني ؛لتكمل دراستها في روسيا.... غلبني النعاس فجاءني حلمٌ قابلت فيه سالم فحكى لي قصة غريبة تنتهي بموته وهو يقول لي لك عمرٌ طويل. .....ثم قتلت عصابته رقية أمام عيني ....تعالت أصوات عمران ورفاقه

بالضحك، بعد أن قالوا لقد كنت ضحية خدعة يا محقق فاستيقظت فزعًا ولم أنم حتى جاء الصباح، وذهبتُ إلى المركز الأمني فوجدتُ رجلًا ينتظرني بلحية طويلة ،وشاربين خفيفين ،وبجسم نحيل غارق بين ملابسه ..سألته: بماذا أستطيع خدمتك؟

شكرا ...كان اسمه سعيد خالد.

استرسل: لقد جاءني رجل بلحية طويلة قبل شهر تقريبًا، ووضع عندي هذا الصندوق أمانة، وطلب مني إعطاءك إياه لكني أصبت بوعكة صحية أدخلتني المستشفى وأدخلتني بغيبوبة لم استيقظ منها الا من أسبوع فقط مكنني من زيارتك واعطاؤك هذا الصندوق.

تابع: أخبرني أن اسمه سالم.

فتحته ما هذه؟ ولاعة سجائر.

سألت أحمد عن النقيب فأخبرني : سمعت أن رجلَ أمن وُجد مقتولًا قبل أيام وحزنت لما كان أشرف ...كنت أعرفه في الجناح العسكري .....لا أريد ظلمه ...لقد تعرفت عليه عندي .....ألا تذكر؟

بلى أذكر ولهذا أسالك..

لكن هل ملك الطبيب للبيت يعني أنه القاتل؟ ما الذي يدفع أصدقاء سالم ليقتلوا؟ ما دور سعيد خالد والصندوق؟

مرت الأيام ...ومر الأربعاء وموعد الأحزان كان يوم الخميس ... انقلبت تجمعات الناس في سوق النحاس إلى حالة استنفار...وكأنهم تذكروا مسألة حياة أو موت؛ فقد بدأ خبرُ وقوع انفجار في مدينة الصرح يصدحُ من المقاهي .....بدأت الأحاديث الجانبية بين الناس ...قال أحدهم: يا أخي لا يجب أن نصدق أن ما قِيل بالأخبار هو ما حدث فعلًا ورد آخر بل حدث أكثر مما قيل وأحمل مسؤولية الانفجار لرجال الأمن ...لكن يا لحزن أهالي الضحايا ..... قررت الذهاب إلى مسرح الانفجار... وفيه رأيت محققًا اسمه عماد بقبعة عسلية و"بدلة "أنيقة، إنه رجل بالغ الذكاء، ويهتم بصغائر الأمور قبل كبارها، كان واقفًا بين بضعة رجال أمن ويلوح بيده، فعرفتُ الحاضرين بنفسي.. أنا المحقق محمد الأمين فابتسم عماد بتصنع وكأنه تفاجأ بوجودي.

فرد: وأنا المحققٌ عماد من قسم الجرائم الدولية.

فقلت: ماذا حدث هنا؟ فردَ عماد: لا شيء، ماذا ترى أنت؟ قصدت هل حدثت هنا مذبحة؟

لم تمر علي جريمة كهذه؛ ضحايا كثر والمتهم واحد أو أكثر أو دولة بأسرها متهمة بالتقصير...لا أدري...وقد حدثت في الواحدة بعد ظهر اليوم.

تابع: كان مسبب الانفجار قنبلة تستجيب لموجات لا سلكية محددة.

محمد: لقد أودت بحياة رئيس الوزراء الكمالي ومرافقيه... ولا أعرف كيف حدث ذلك في ظل ترتيبات أمنية رفيعة المستوى؟

ما رأيك بالذهاب إلى مكتبي؛ لنكمل حديثنا؟

كان مكتبه أنيقاً لدرجة كبيرة، فقام وقَدم لي سيجارًا ، عماد: هل تعرف أنت تقترب الآن من الجلوس على كرسي الاعتراف؟

لم أفهم، ماذا تقصد بالضبط؟

تابع عماد: مجرد معلومة عارضة أو مزحة ثقيلة الدم.

ماذا تحب أن تشرب؟ قهوة...

أخرج عماد لفة من الورق: هذه الخريطة تبين طريق موكب الرئيس -الذي كان في زيارتنا- كان طريقه ثلاثين كيلو متر وعلى طوله قُسمت عمليات رجال الأمن إلى ثلاث مراحل؛ أولاً الكشف عن احتمالية وجود قنابل مدفونة بكلاب متفجرات، ثم زراعة أجهزة التشويش ثم المرحلة الثالثة توزيع رجال الأمن كسياج مغلق في طريق الموكب ...لكن المشكلة ....كيف كانت القنبلة ..وانفجرت! لا شك أنها كانت في أحد الأماكن، وهي غريبة على الكلاب، وعلى أجهزة التشويش؟ آه! لكن هذا يعني أن الأجهزة لم تعمل، وأن تلك حيوانات مغفلة.

اتكأ عماد على طاولته موغلًا في التفكير ثم قال: سأراك قريبا جدًا.

وقعت الفاجعة قريبًا من الطريق السريع الذي كان يبعد أمتارًا عن المنطقة السكنية ...كان يجب أن يصل موكب رئيس الوزراء إلى قصر الضيافة ...يوجد بقرب موقع الانفجار بنكٌ قد دمرت واجهته الأمامية، وإلى جانبه استراحة للمسافرين ....قطع الموكب سبعة كيلومترات حتى كان أمامه ثلاثة مفترقات من الطرق ...فسلك الموكب ذلك المفترق وهناك حدث الانفجار.....ولكن كيف ضمن مُخطط الانفجار أن الموكب سيسلك المفترق الذي أراده ...ماذا لو سلك الطريق الطويل بدلاً من القصير؟ ...أسيحدث إنفجارٌ آخر؟... .جاء زميلي معاذ برفقة رجل أمن ثم دخلنا البنك الذي لابد من وجود كميرا فيه ....وسيعود أحدهم عندما تحين فرصته ليخفي تسجيلها .....تفاجأنا بخيال أحدهم على جدار في البنك.

معاذ: أحدهم جاء قبلنا.

محمد: اهدأ ...اصطدم رجل الأمن ببقايا زجاج... فأسرع ذلك الشخص بالهرب من الجهة الخلفية للبنك ...لم أرَ منه إلا معطفه ...

معاذ: هذا البنك هو ملكٌ للخفاش، -وكما نعلم- أنه اعتاد السلب، والسرقة؛ فلا شك أنه يحفظ فيه أمواله السوداء.

معاذ: هناك ثلاثة مفترقات ...لا شك هناك قنابل .....إنه خطر عظيم قادم ....خرج إلينا عماد فقال :كفاكم لعبا ...لا أصدق خوفكما ....محمد: ماذا تقول لا شك ...أنت نائم.

عماد: اذهب ...كان الله بعونك ....فمشوارك طويل ...طويلٌ جدًا يا ظالم....

تذكرتُ جريمة الخميس التي أودت بحياة رئيس الوزراء الكمالي، وتذكرتُ المحقق عماد ، وما هو السبب وراء فشل اجهزة التشويش، وتذكرتُ صاحب المعطف الذي رأيته في البنك لكن هل هو ذاته الذي كان في جريمة قتل سالم؟، بماذا يتهمني عماد؟ ولماذا نعتني بالظالم؟

ملابسات جريمة الانفجار

جاء صباح يوم جديد، كنت في ردهة الغرفة الفندقية أنظر في صحيفة اليوم فكانت تتحدث عن القنبلة الذكية، وقدرتها التدميرية الهائلة. بدأت أتذكر موقع الانفجار، كان مذبحًا لا أكاد أرى فيه جثة كاملة الأطراف، فأما يدها مبتورة، أو ساقها، وسيل الدم في كل مكان على ركام المنشأت ليجعل الدماء الحمراء لونًا مشتركًا . اختلطت أطراف الضحايا، واختلط الحابل بالنابل .....فتلك قطع صغيرة جدًا من الأجساد يبدو أنها لأناس كانوا على قيد الحياة . وفي مكان ذروة الانفجار وقوته كانت جثث وأشلاءٌ متفحمة قد احترق دمها.

تابعت القراءة: إن جون فرات شخص نحيل الجسم، متوقد العقل، ويحمل جنسية الدلتا والجنسية الإنكليزية، ولبق وصريح في كلامه، ولم يكن كذلك حين أخبر حكومتنا ببيان شركته التي تزودها بالأجهزة الاستخباراتية موضحًا عدم وجود تفسير لديه حول فشلها في منع الانفجار.....
فيقول جون: لقد كنا في العمل، ولقد صدمنا، ولم نتوقع أن مراد عيسى رئيس الوزراء الكمالي سيكون من ضحايا الإرهاب ....
.... تركت الصحيفة وخيمت علي ومضات تفكير مزعجة ...حل الليل ولا يختلف حالي فيه عن النهار...

فعلًا أثار الانفجار الحيرة في الدلتا، وفي بعض الدول لتغطي دول الشرق الأوسط، وتنتقل لتصبح حلاً لقضية الانفجار في المحكمة العظيمة ...
اتصلت بأمي الحبيبة لأطمئن عليها وليكون صوتها معينا لي لأتذكر زمن الطيبين وألمس منها الوقار والطمأنينة..

وتمضي الأيام

أُعلن عن عدد ضحايا الانفجار فكان مئة وثمانية أشخاص بين قتيل وجريح، وامتد التحقيق فيه لأسبوعين وخَلُص إلى تورط عدد من الضباط والمسؤولين فاتهموا بالخيانة والتواطؤ مع المنظمات الإرهابية، وللأسف كنت من المتورطين، ولم أعرف بذلك إلا عندما اقتحمت القوات الأمنية الغرفة الفندقية، وألقت القبض علي، ولم أستيقظ من دهشتي إلا عندما رأيت نفسي بين رجال أمن متهمين في قطار يوصلنا إلى أحد مراكز التحقيق السرية، كان قطارًا يتسع لأكثر من مئتي راكب في العربة الواحدة وتكتظ بأكثر من هذا في رحلاته ...لكن ليس فيها أحد غيرنا الأن...
كانت أوضاع الدلتا متوترة مع دولة الجبل الأبيض التي اتفقت مع شركة انكليزية لانشاء قناة دولية للتبادل التجاري تلغي دور الدلتا وتضعف أهمية منافذها البحرية، وهذا ما اعتقده دليلًا يثبت استهدافنا... لم يكن في يدي حيلة إلا الانتظار للتحقيق في جرائم القتل..
هل سأعرف قاتل سالم والنقيب؟ ولماذا حملوني جزءً من مسؤولية حدوث الانفجار؟ هل هناك علاقة بين خطف أختي واتهامي؟ وتذكرتُ لهيب التوتر بيننا وبين الدول المجاورة.
هل الاتفاقيات مع العملاء كما أخبرني سالم على علاقة بما يحدث؟

في طريقنا إلى الغابة.....

توقف القطار بعد ساعتين من انطلاقنا.. آنذاك طلبت صحيفة اليوم فقرأت في أولها: جريمة الانفجار خلافات قائمة بين بعض الدول رافقها توجيه أصابع الاتهام ....وحكومة الدلتا المسؤول الأول أمامهم عن تقصيرها في الحماية فاضطرت لتقديم ملفات المشتبه بهم وأدلة تدينهم

بارتكاب هذه المجزرة....عندما قرأت ذلك صعقتُ، ما دليل إدانتي؟ وماذا سيحل بأمي إن عرفت..... ألا يكفيها غيابُ رقية عنها؟

رجل الأمن: استعدوا للنزول .....ولكن بهدوء فحملت نفسي التعبة، وذهبت، لاصطف في طابورٍ من خمسة من رجال الأمن المتهمين .....ثم وُضعت الأغلال في أيدينا وبدأنا في الخروج من القطار.

وبين كل خطوة وخطوة نمشيها هناك رجل أمن....وعندما مررنا عند بابٍ للقطار رأينا رجلًا برتبة نقيب، وبرفقته ضابط ينظران إلينا باحتقار ....فابتعدتُ والمتهمين عن الضابطَين وبدأنا نسير في طريقٍ عشبي بين أشجارٍ كثيرة ....وبكل جانب منه هناك رجال أمن يمشون بسرعة خطواتنا المتوترة. مضتْ نصف ساعة حتى صرنا في عمق غابة الأشجار، فسمح لنا قائد الأمن بالمشي خارج صف منتظم .....

سألت المقدم ليث وكان يسير إلى جانبي: ما سبب اتهامك؟ فأجابني: لقد ترأست التحكم على أجهزة تشوش على أي إشارات غريبة المصدر، فتوقفها لتصبح غير مؤثرة وغير فاعلة... ولكن كيف حدث الانفجار ؟

صمت المقدم ثم سأل: ما هي تهمتك؟

لا أعرف.

المقدم ليث مستغرباً: لا تعرف!

أنا صادق ؛فليس لدي سوى قصة طويلة لا علاقة واضحة لها بالانفجار.

سألت المتهمين الباقين فبعضهم تورط بتهمة المقدم ليث ...والبعض الآخر، تَخَلَفَ عن مهمة الحراسة لطريق الموكب ...فكتب له عمرٌ جديد لكنه لا شك يحس بالموت... لقد شعرت أقدامي بالتعب كثيرًا؛ فلم أنل من الراحة والطعام ما يكفي.

ارتفعت الأرض أمامنا شيئًا فشيئًا إلى أن أصبحت تُطل على سبخة خضراء، ورجعت كثافة الأشجار إلى التناقص حتى وصلنا طريقًا وعرًا له جنبين مزروعين بشجيرات صغيرة، استمرينا بالمسير حتى توقفنا في بقعة ذات عشبٍ صغير فكانت بين الشجيرات كأنها لطخة في شعر رأس أحدهم .....ثم جاء الصديق المزعج، كان طائرة وكلما دنت من الأرض يتحرك العشب من تحتها وكأنها مصفف شعر، خرج منها ملازم أول فسلم على رجال الأمن الذين رافقونا في الغابة دون أن يعيرنا أي اهتمام وهذا أقبح عندي من نظرات الاحتقار.

مركز التحقيق السري

عاد رجال الأمن أدراجهم .... وبدأت الطائرة بالإقلاع حتى صرنا تحت الغيوم، وفوق الشجر الذي شكل جسماً غير صافي اللون .

سألت نفسي: ما العمل؟ كان عددنا ستة أشخاص، وإن ضايقنا الحراس في الطائرة فأرغمنا الطيار على الهبوط في منطقة آمنة فقد يموت أحدنا بطلقة طائشة أو يكون بيننا جاسوس يحول بين نجاح خطة هروبنا، وليس من الصعب معاودة القبض علينا....

وتحت سقف السماء اختلفت الأرض من بيوت متناثرة ومزارع خضراء، وانحصرت؛ لتصبح مبانٍ رأيناها وكأنها متشابهة الطول ، وهذا أحد أحلى شيئين رأيتهما في ذلك اليوم، اختفى كل

ملاحظ له أبعاد على الأرض ....لم نعد نرى إلا رمالًا ذهبية .....لقد كنا في صحراء القبائل واستمر الطيار بالتحليق حتى أصبحت الرمال في جميع الاتجاهات .....ثم قل ارتفاعنا تدريجيًا، ليصبح ارتفاع بناية ضخمة هبطنا عليها، كانت مركز التحقيق السري وما إن خرجنا من الطائرة حتى استقبلنا رجال الأمن.

لقد كنت قويًا ،وأتحمل المشقة لساعات .....ولكن في تلك الرحلة كنت والنائم سواء. نزلنا درجًا كان لستة طوابق حتى وصلنا الطابق تحت الأرض ثم أُخذ كل رجلين منا في اتجاه مختلف بين سجون عديدة ...كان برفقتي المقدم ليث ففُكت أغلالنا ودخلنا السجن فأُغلق علينا بإحكام قفل كبير ...كانت جدران السجن مطرزة بعبارات الشوق والحزن، وتوزعت بطانيات بل أكياس كبيرة في أرضيته، استمر الصمت بيننا حتى سمعنا صوت أحدهم .....توقف الصوت؛ ليرجع بصوت طبقين معدنيين يحتكان في أرضٍ مغبرة، وقد أُدخلا من فتحة تحت باب السجن .....لقد كنا متعبين ومستعدين لأكل أي طعام...

بدأت بالحديث: أيها المقدم، ألا يوجد حل؟ تكلم رجاءً.

المقدم ليث متآففًا: لقد كنت إنسانًا مستقيمًا في عملي، لكن بعد ان اتهمنا لن تنفع الاستقامة.... سأنتقم نعم ...سأ .....قاطعته: لا يا رجل.

المقدم ليث: لقد وضعونا في وجه المدفع.

لم يجدوا أمامهم إلا نحن....فالضغوطات من كل جانب .

المقدم ليث: أعتقد أن علاقة دولة الجبل الأبيض متوترة معنا وكذلك علاقتها بدولة عماد الكمال ...فضربت بحجر عصفورين أحدهم قُتل والثاني أُتهم....

وسننتظر قرار المحكمة العظيمة لعله ينصفنا.

على أية حال السجن هنا أرحم من وجوه عائلتي وقد بت متهمًا وأما حياتهم فتحتاج نقودًا وأرجو الله أن ألا يطول بقاؤنا هنا....لكني لست مذنبًا ...لست مذنبًا...

رجل بمعنى الكلمة

رجل الأمن: استعد أيها المحقق ستقابل مدير السجن.

وُضعت الأغلال في يدي فعاودت مخالبها لتنطبع على جلدي .....كان مدير السجن رجلًا أصلعًا ومتجعد الوجه، ويدخن بغليونه البني، وبرتبة عميد.

تفضل بالجلوس.

صمتَ قليلًا ليعود بقول: لماذا خنتَ بلدك؟ ألا تعلم حجم الضغوطات عليها بعد جريمة الاغتيال؟ .

....بدأتَ مشوارك البوليسي بالجد لحل كثير من القضايا ....أما الآن فهل عرفت ما يقال عن الخونة أمثالك؟

لكن أنا.

فقال غضبًا ...أنا لم انهِ حديثي بعد ...ثم تابع :كان حديثك واعد بالقبض على المجرمين الخطرين لكنك فشلتَ وأنت الآن متهم بالمساهمة بحدوث إنفجار هو أفجع جريمة مرت على دولتنا في العصر الحديث... من تكون عصابتك؟

ليس لي علاقة بالانفجار.

انتبه ....أنت تقاطعني مرة أخرى ...قبل أن أسمح لك بالحديث

محمد: أيها العميد، لقد فاق حبي لوطني حب شيء آخر كما فاق كرهي لأعداء الوطن، لقد زاد المنظر المفجع الذي رأيته لضحايا الانفجار الحزن في قلبي أضعافًا مضاعفة.
مدير السجن: جميل كلامك، لكن حقيقة خيانتك تستقبحه.
أكنت تتوقع أن الإصلاح سيأتي على طبقٍ من ذهب؟ فقلتُ –منزعجًا-: وما هي أدلتكم ضدي؟
اخفض صوتك... وإلا سنرميك من هذا السجن لتتيه في هذه الصحراء كما تاه بنو إسرائيل فيها.
لقد تعبت كثيرًا ، ما هي تُهمتي؟

مدير السجن: سأعطف عليك وأُخبرك، لقد وجدنا في بيتٍ لك أوراق ومخططات للانفجار ، ناهيك عن مقابتلك لمجرمين مؤخرًا بشكل غير رسمي والمبيت عندهم والانخراط في بيئتهم.
مقتل المجرم الذي يدعى سالم والذي أقمت في بيته قبل مدة، واتهامك الآن، يوضح كم عصابتكم تهتم بأعوانها.....
لا حول ولا قوة الا بالله، لست مذنبًا.
لعل عصابتك قتلت قسمًا اشترك معك في تنفيذ الانفجار، وقسمًا آخرًا حملته تهمته.....ملفك أمامي ويمكنني أن أصدع رأسك بسرد سيرة حياتك واتهامك.
لماذا كل المتهمين رجال أمن؟ هل ورطتني عصابة سالم بالانفجار؟

موعد في منزلٍ خشبي

مدير السجن: إلى أي طرف تنتمون وما هي أهدافكم؟
رن هاتف العميد ...
فسمعتُ هذا من مكالمته، السلام عليكم، نعم يا سيدي، نعم ، نعم ..
أنا لا أعرف ...لماذا هم مترددون في اتهامك؟ أنت بنظري شخصٌ فاشل.
فكثيرٌ من أمثالك كانوا حماسيين ، فإما يصبحون متهمين مثلك، أو في القبر، أو مجرمين لم نمسكهم بعد.
مدير السجن: خذ هذا المتهم إلى سطح السجن، وانتظر طائرةً عسكرية.
هبطت الطائرة ثم نزل منها رجلا أمن... ثم بعد أن ركبا طائرتهما أطلقا النار على من رافقني ؛فطرح أرضًا، وأطلق آخرون النار على الحراس فأردوهم قتلى ...
من أنتم؟
لعلك ترى بزتنا العسكرية، ثم تعالت أصواتهم بالضحك. ..... إن مركز التحقيق يعلم بمكانه بعض العاملين فيه، ورتب كبيرة في الجيش فكيف علمت العصابة بمكانه؟ لا بد من وجود خائن .....
....أُزيلت قطعة سوداء رُبطت على عيني لأرى أننا في عرض الغابة ....استقبلنا رجال تكاد وجوههم لا تخلو من إمضاء أدوات حادة ،ويلبسون ملابس صيد. اصطحبوني إلى داخل بيتٍ خشبي توزعت فيه بعض المقاعد الجلدية ....شعرت بالملل والتوتر لوقت ليس بالقليل....جاء رجلٌ عجوزٌ شعره كالقطن، ويمشي بجانبه كلب بني مغطى بشعره ...فبقي التوتر.
العجوز: آسف؛ لأننا جعلناك تزورنا بهذه الطريقة كما أعتذر ؛لتأخيري.
لم أجب ....فتابع العجوز :لماذا لا ترد؟

أتريدني أن أقبل الاعتذار وقد قتل رجالك رجال الأمن.
لا تمتحن هدوئي؛ فما زلت أعاملك كضيف.
ما رأيته إلى الآن يكفيني.
أمتأكد أنك لا تشتاق لترى أحدهم؟... انسَ الأمر حتى لا تموت قهرًا.
محمد: لم أفهم...أتقصد أختي؟... الرجل العجوز: انصياعك لإرادتي يحدد لك أجوبتي على أسئلتك.
طال غيابك عند الشرطة، واشتقنا إليك كثيرًا .....
ماذا تريد مني؟
سأعرض عليك شيئًا، بعد تناول الغداء .
كنت أتمنى وجود السم فيه.....جلسنا في غرفة تقابل المائدة...

لنعود إلى حديثنا... لن أكرر ما سأقول... .هل تود أن تعمل معنا؟ .....لنحتسي شراب لذة المال.
طبعًا لا...فطريق خيانة القيم لا ينتهي إلا بالموت والعذاب المقيم ليس ثراءً أيها الكذاب اللعين.
وفي ثانية رمقني بنظرة غيض، واختفت؛ ليبتسم بعدها .
العجوز: كما تريد يا بني .....في حينها شعرت بالدوار؛ ففرحت.
فتحت عيني في غرفة شبه مظلمة .....وقد كانت ملابسي متسخة، وجيوب بنطالي خارجة منه ....عن ماذا كانوا يبحثون؟ ....فعلًا لقد احتدمت معركتي مع العصابة.....تذكرت شيئًا مهماً قاله لي سالم: إن بقيتَ حيًا وحميت معركتك مع عملاء العدو استخدم الأدلة التي سأوفرها لك للضغط عليهم ، وكافح حتى لا تموت بين الأقدام..
لكن أين الأدلة؟ هل هم يبحثون عن ولاعة السجائر الكبيرة؟
نظرت حولي في الغرفة؛ لم أرَ سوى صناديقٍ خشبية، وظلام محيطٌ بي ...هناك نافذة صغيرة في أعلى الغرفة، ولا يمكن الهرب منها ....
وقد كان نور القمر يحاول اقتحامها بخيوط رفيعة من الضوء الذي لا يشبه أي نور عادي. كان يشعرني بالطمأنينة، لكن الآن لا أجدها إلا بالبكاءُ على كتف أمي. سمعت أصواتًا من خارج البيت .....
احرصوا على حراسته جيدًا ...وإلا سأقتلكم وأرمي جثثكم في الغابة، عرفت أن المتحدث كان العجوز ... .ثم سمعت أصوات محركات سيارات حتى ابتعدت.
رميتُ الصناديق على باب الغرفة ...فلم يأتِ أحد، وكأنهم توقعوا ذلك..
وأخذت صندوقًا آخرًا وقذفته على زجاج النافذة فلم يأتِ أحدٌ أيضاً .... .استمر مهرجان الرمي .....فجاء أحدهم: لماذا تثير المتاعب؟
اصمت أيها القذر...
كنت خلف باب الغرفة ..سأدلك على مكانِ شيءٍ تعطيه لسيدك ... إذن دلني .. تفضل لأرسم لك خريطة لذلك المكان ولنتفاوض .....فدخل بجسمه الموشوم وهو يحمل ورقة وقلم فقال: أين أنت؟
أنا خلف الصناديق.
أتظنني أبلهًا؟
تقدم الرجل إلى الأمام ....خرجتُ فضربته على رأسه ففقد وعيه...ربطتُ فمه، وأغلقت الباب ..ثم أخذت ولاعة من ملابسه وأضرمت النار في ملابسي... ...بدأ الدخان ينتشر في أرجاء

الغرفة ثم بدأ بالخروج منها... هرع رجال العجوز....كنت بجانب مدرج هبوط الطائرة أتظاهر بالحراسة وألاحظ حالة الاستنفار.
أحد الرجال: لماذا لا ترى الحريق؟
كان لباس الرجل جيدًا حتى لا تُكشف هويتي بسهولة ....
يجب أن يبقى أحدنا للحراسة ....إذن أبقَ أنت.
كان الجو باردًا ...وبين الدخان والضباب..هربت إلى الغابة..... لم أبقَ في مجال رؤية أحد..... كان وجهي شاحبًا وكأني عائدٌ من الحرب وشعري طويل وقد اهملت قصه من مدة.
قطعت أكبر مسافة استطاعها تحملي...سمعت أصواتًا خافتة تأتي من بعيد لقد هرب.. لقد هرب.

الرجل الأجود

أُجبرت على المكوثِ على تلٍ يكشف طريق الغابة.... بحثتُ عن صخرةٍ كبيرة وما إن وجدتها حتى استلقيت بجانبها وغطّطت بنوم عميق... .لم أشعر بنفسي إلاّ وأشعة الشمس في وجهي فقد جاء الصباح فشعرت بالجوع يضرب أحشائي ....ثم بدأت أسمع صوت الصديق المزعج. فأسقطت جسمي حيث كان، وزحفت قليلًا وبقيت مستلقيا حتى اختفى صوت الطائرة... ....ثم تنفستُ بعمق ..رأيتُ دخانًا يأتي من أعلى شجرة. اقتربت منه فكشفت كثافة الأشجار عن منزل نصفه حجري، والنصف الآخر أخشاب أشجار .....طرقتُ باب المنزل.
من الطارق؟
أنا محتاج للمساعدة..
كان زنجيًا، ويلبس قبعةَ رجال الكوبوي. لن أسألك شيئًا...معدتك تصدر أصواتًا، وأظنك تتوق للهجوع أيضاً.
استطرد: تعال معي .. اعتبر البيت بيتك؛ فأنا أعامل الناس بلباقة فإن رفض أحدهم ذلك؛ لن أتردد باستعمال بندقيتي.
وضعت نفسي على الفراش، فتذكرت رئيس الوزراء الكمالي، كم أعجبني! يحب السلام، ويحب أن يجعل من الشعوب العربية روادًا للانجاز بالمشاريع التي كان ينشؤها... أخذني النوم في جولة بين الأحلام. حلم ألتقي فيه مع أمي، وحبيبتي جوليا فينتهي؛ ليبدأ آخر بالمطاردة مع الشرطة والعصابة. سمعت أصواتًا في الخارج ثم فُتح باب الغرفة. من كانوا ؟
لا تهمني معرفتهم...،ولا أخشى أحداً، جاءوا يسألون عن شخصٍ بمواصفاتك.
قلت لهم: لم أرَ أحدا منذ مجيئي الليلة الماضية...
أردتُ أخذ راحةٍ بين الطبيعة الخلابة.
كنتَ غاطًا بالنوم.... وضعت لك ملابساً تناسبك أكثر ... سيكون لنا حديثٌ بعد الفطور إن شئت.
...قمت من مكاني وغسلت وجهي الشاحب.
ما بك؟ لماذا لا تأكل؟
شكراً لك، والحمد لله.
أنا أصغي إليك إن أردت إخباري بشيء.
أنا مطارد من الشرطة، وعصابة لا أعرف عنها إلا القليل.
هون عليك لا بد أن ترتاح يوماً ما.

شكراً على الثقة بشخصٍ لا تعرفه .
خذ هذه القبعة ...قد تفيدك في هذا الطقس البارد.

مزارع الأَرُز

كان الطقسُ جميلا مع صوت الكنار، وليس مع الصوت الذي بدأت أسمعه ...إنه لسيارة شرطة ....سأختبئ ولكن أين؟ ... .رأيت من مسافة ليست بالبعيدة جسرًا نُصب على عين ماء ... . وصلتُ بهدوء إلى شجرة لها أغصان تصل إلى الأرض ...فحرفت مشيتي خارج الطريق فكانت الشجرة خلفي ثم ركضت حتى وصلت الماء فأصبح نصف جسمي بالوحل.. . .رميت السلاح فيه ....ابتعدت الشرطة ثم تابعت السير..جنحت الشمس للمغيب .ولكن موقف أحمد لا يحسد عليه ...هل سيقف إلى جانب القانون أم إلى جانب صديقه؟
ابتعدت عن طريق العين وسرتُ في طريقٍ فرعي ....كان يقطع مزارع الأَرُز.. ..وبعد منظر غروبٍ يعجز الرسامون عن وصفه على حَقيقته في لوحاتهم شعرتُ بالتعب؛ فتمددت بجانب مزرعةٍ أرزٍ مشبعة بالماء. اشتدت الرياح، ومع نفحات منها تشعرني بالبرد الشديد، وجدت مجموعة من الأكياس فلففتُ جسمي بها ثم غلبني النعاس .....جاء الصباح وقد استيقظتُ ومددت يدي للأعلى وأنا أشعر بوجع يضرب أحشائي .....ثم انتهيتُ إلى فلاح من بعيد...مشيت نحوه، وكأني رأيت كنزًا.
ما بك يا سيدي؟ لماذا كنت تركضُ نحوي؟
كنت في زيارة لرجلٍ عجوز في بيتٍ خشبي وعندما وصلت إليه كان غيرَ الذي أعرفه... لم يكن بيننا غير حديثٍ مشحون، ولم أستطع الرجوع إلى بيتي. أنا تائه يا سيدي.
المخفر بعيدٌ من هنا وأنا غارق في عملي.
ستجد أحداً يعمل معك.
ولكن الأرض لن تقبل ملابسك هذه.
أنت تفهم أرضك إذن.
أفهمها ولا أفهم زوجتي ....اذهب إلى تلك "العريشة"–غرفة صغيرة من القصب-ستجد ملابس احتياطية.
بدأتُ بالمجرفة أمهد قنوات الماء حتى يصل الزرع....
كف عن العمل قليلًا ... كان يضع قطعة قماش فيها بضع أرغفة من الخبز، والطماطم ... كُل ... تابع كلامه وفمه يصدر شكشكة...ما اسمك؟ محمد ... لا تنظر إلي هكذا...سننهي عمل هذا اليوم...ثم نذهب.
استطرد: سأوصلك إلى جانب مخفر ،كنت للحظة سأقول لا، لكني تفاديتها: أنا لم أدخله من قبل ..سمعنا صوت سيارة.
نزل منها رجلان يرتديان ملابس صيد لم أرهما من قبل في منزل العجوز وأرجو الله ألا يعرفاني... .ذهب إليهما الفلاح، أما أنا فوقفت بعيدًا عنهم بخطوات .....فقال أحدهم بصوت أستطيع سماعه: مرحبًا،
أرأيت شخصاً غريب الأطوار بالجوار.....
أها، لا لا.
مَن ذلك الذي يقف هناك؟ اطلبه حالًا.
فذهبت إليهم باتزان خارجي...

رجل العصابة: أظنك سمعتنا، فما هي إجابتك؟
محمد بلهجة بين المدنية و-الفلاحية-: لا لم أرَ أحداً. جاءتني فكرة رجل رأيته مر عن المزرعة بمواصفاتي ...لكن "لا " أراحتني من عناء..
من أين أنت؟
أهلي وأقربائي هنا، وفي التحرير.. .لم يشك بي بهذه الجلابية المتطينة والقلنسوة التي تغطي جزءً بسيطًا من وجهي ...لكن لا أجزم بعدم ذلك أبداً.

تذكرتُ احتمالية خيانة بين قادة الجيش، والعصابة التي في الغابة، لكن على ماذا كانوا يبحثون في جيوبي؟ ماذا سيحمل هاربٌ من الشرطة في جيبه؟ هل لذلك علاقة بولاعة السجائر؟ ، وتذكرتُ الرجل الأجود والصديق المزعج والفلاح ومزرعته.

قريةٌ ترقد في أسفل الوادي

ضع مجرفتك هناك.
سيدي أين محراثك؟
أي محراث؟ هههههه.
هناك عند الشجرة، كان حمارًا يحمل أكياسًا ، ثم قطعنا به الوديان، حتى صرنا على مقربة من تجمع للبيوت ....إنها قرية ترقد في وادٍ ...كما كنت نائماً بجانب تلك الصخرة الكبيرة ... كنت مصاباً بالزكام .وأرنبة أنفي محمرة ...
تفضل إلى ضيافتي ،ولكنك تود الرحيل.
تابع: كنت أفهمك ولم أذكر اسمك أمامهم...
ستجد تجمعًا للحافلات هناك.
سررتُ بمعرفتك ... لكن هل هناك حافلات تُقِلُ بدون نقود؟

تجولت في طرقات القرية .....كانت جميلةً وبيوتها بسيطة البناء، وحدائقها خلابة، رأيت ضوءًا أخضرًا من بعيد.....لعله يكون مسجدًا أجد فيه مساعدة ..كان في طريقي مقهى يبعد بضع أمتار عني ويجلس فيه الكثير من الرجال، فهذا يلعب لعبة الورق "الشَدة"، وكذلك هو الحال مع لعبة الطاولة ويدخن أحدهم ويشرب القهوة، ويصدح المقهي بصوت غناء أم كلثوم ثم وقعت عيني بعين أحد الجالسين فيه فجحظت عينه وقال: هذا هو ،هذا هو. فترك مكانه واتجه نحوي، وصارت أغنية ألف ليلة وليلة مع صوت أصدقائه وقفزهم عن الكراسي متجهين نحوي كانوا ثلاثة أشخاص.
جريت مسرعًا ....كانوا مثل النحل الطنان خلفي ....آه؛ فلو استطاع ذلك الفلاح إبقاء ملابسه وقتًا أطول ما عرفوني. خطفت ثلاثة حجارة عن الأرض ثم اتجهت إلى طرقٍ مظلمة ورميتُ كل حجرٍ في اتجاه مختلف ...ازدادت المسافة بيني وبين أهل السهر ....حرفت اتجاهي إلى أحد الطرق الفرعية ....تصرفت وكأني أعرف المنطقة...رأيت سورًا صغيراً لأحد البيوت ...سرقت النظر إلى الوراء ثم بخفة قفزت إلى داخل البيت، فلم أفكر بخصوصية أهله ولا باحتمال وجود

كلب حراسة، ثم تنهدت قليلًا ...كان تحتي بساطٌ أخضر..وهناك حظيرة أغنام، وقع في عيني ضوء قنديل.
قالت فتاة: من هناك؟ من هناك؟
وقفت خلف شجرة، اقتربت من مكاني..كانت تحمل سيفًا مسلولًا، ولم تكن مغادرتي الآن فكرة سديدة.
خرجتُ إليها وقلت: السلام عليكم.
الفتاة مخضوضةً: من أنت؟ وأين تقف؟ أضاءت القنديل نحوي ....كيف دخلت؟ .من المؤكد....
فقاطعت أم الفتاة: هل كان شيء يا حسناء؟
هناك لص.
ماذا؟ وجاءت مسرعةً.
اطلبي الشرطة.
كما تريدين ...مع أنني لست بسارق.
من أنت؟ إذن.
أنا تائه.
صمتت الأم ثم استرسلت: أنا لا أظنه يخاف الهرب من سيفكِ.
هكذا تعودت الدخول على البيوت.
أرجوكِ أحتاج إلى المساعدة.
ما هي قصتك؟
انظري يا أمي.
لقد التمست الصدق منك، وماذا الآن ؟
رجال الأمن علموا بوجودي في القرية أخاف أن يجروا تفتيشًا في البيوت القريبة.
أفهمك، وإذن متى ستغادر؟ .
محمد: لن تشعري بي، نمت ورائحة العشب تضمني و غطاء كبير من الصوف كذلك حتى طلع الصباح ثم مضى النهار وحل الليل وأنا أفكر... جاءت حسناء.
أين كنت تنظر في السماء؟.
أين ذهب تفكيرك؟ خوف وشوق...
أنا أحب النجوم، كانت أمي من تخيلتها.
ولكن لا أعتقد أنها فقط.
محبوبتي جوليا يا غريبة الأطوار.
ارتحت لك وأنا أكلمك كأخي.
هل تحبها كثيرًا؟
أكثر مما أحب نفسي.
سأجلب ورقة وأجسد قصة أسمعها.
إن لغة القلب لا تعبر عنها إلا لغة العيون.
بدأت حسناء بالرسم وأنا أقول:
في قلبنا يا جوليا عشقٌ يصل بعد الحدود.
نموت أو نحيا بقلبٍ واحدٍ؛ فالحب فيه يتعلق بالخلود
إن مت في غربة فسأكون بعدكِ وسيبقى الحب حبٌ محفور على الجلمود

حبنا ليس مجرد كلمة أحبك بل هو عهد ليس كأي العهود
الحب في القلب، والإخلاص دمه في العروق وبه حبنا خُلق لي قبل أن أكون مولود
تروح وتأتي أيامٌ غيرها والواشون هنا وأطلب من الله الصمود
أنتِ شمس وقمر وليس إحداهما وبعد موتك ليل سرمد حتى نلاقي الرب المعبود
رائع، لكن من هم الواشون؟
ليلة سعيدة يا أخي، غافلني النوم مع النجوم...
أم حسناء صباحًا: يجب أن تعرف كيف تهرب؟
حسناء: هناك سيارات أمن تأتي بين حينٍ وآخر إلى القرية ....فكر ...قبل...الوقت ليس لصالحك.
ماذا أفعل؟
وجدت فكرة، فبلباس شرعي كامل لا أظن أحداً يعرفك .
كان اللباس عباءة ونقاب وحذاءً..... كان الجو دافئاً بشمس الشتاء ..... أعطتني أمي بعض المال ثم ذهبنا إلى موقف الحافلات.....
فعلًا إنهم أناس رائعين.... طلبت من السائق الذهاب إلى أقرب نقطة من مدينتي.. لكنه أراد أن يسألني شيئًا قبل أن يغير رأيه...

سيكون صديقًا أم عدوًا

من هناك؟ وأعادها مرة أخرى .
أنا محمد.
أحمد متفاجئاً: محمد! وجاء مسرعًا ...
سأعتقلك....توقفتُ عن الحراك. لم أتفوه بأي كلمة حتى جاءت سيارة الأمن ..كان لها باب يفتح كباب حديقة ..ما بك ؟ ألا تعرفني؟ لم يجب على أسئلتي واستمر بالصمت.
كيف حال أمي؟
بخير.
تابع: حاولنا مواساتها وأخذها إلى أماكن خضراء خلابة ؛ لابعادها عن التفكير السلبي لكن دموعها لا يهدأ تدفقها فتبقى معذبة تتابع الأخبار هنا وهناك وفي التلفاز والمذياع عن الانفجار وعن المتهمين .... محمد: إن قلبي منفطر.
كذبت سمعي على التلفاز، ونظري في الصحيفة. حتى هربت من السجن .
أنا أحبكم لست خائنًا صدقني.
تكلم... لماذا هربتَ؟
بدأت أخبره بما حصل معي....
سأحاول مساعدتك بما أستطيع، لن أتخلى عنك ... كبلني بالأغلال.
أريد إن سمحت التواصل مع أمي، فناولني هاتفه...
أمي كيف حالك أنا محمد، فسمعت نشيج بكاءها بحرقة..أمي اطمئني أنا بخير وأختي رقية سأجدها أعدك بذلك.
أين أنت، أريد أن أراك...

أنا مع صديقي أحمد ،أتوق لزيارتك ورؤية عينيك الطيبتين لكن أمهليني بعض الوقت حتى يخف ابتلائي...

فُوجئت بعماد محققًا في قضيتي....الرجل اللبق الأنيق حذق التفكير ...
دخلت مكتبي القديم فقال عماد: اجلس هنا على كرسي الاعتراف.
تابع: ..وضع دولتنا المرير قد يسمح لها أن تعفو عنك إن أثبت براءتك.....فتح معاذ الباب بقوة، ثم بدأ يدور حولي، وكأني الناجي الوحيد من حربِ ضارية، نظر إلي ثم أرغم نفسه على الجلوس ...
تذكرتُ تلك القرية وحسناء تذكرتُ معاناة أمي بغيابي وغياب رقية، وعماد الذي كان يعلم أني متهم بالانفجار منذ التقيته أول مرة....

نصيحةٌ من ذهب

عماد: أتمنى أن تلقى جزاءك.
محمد: أنا لم أخن بلدي.
أين أخذتك عصابتك؟
ليست عصابتي وقد أخذتني إلى عرض الغابة ليلا.
نعم، نعم، لا تعرف أين ذهبت؟
أتستطيع تخمين لماذا فتشوا ثيابك؟
إن سالم قد جزم أن هناك ما يحميني من العصابة إذا حصلت على أدلة مهمة يمكنني أن أساومها عليها .....
عماد: أتصدق مجرمًا ما الذي سيحمله هاربٌ من السجن في جيبه؟
تابع: أدلك سالم على تلك الأدلة؟
لا مات قبل أن يعطيني إياها، ولكنه ترك لي ولاعة سجائر كبيرة..
معاذ: ولاعة سجائر !
استرسلتُ: أرني أدلتكم ضدي.
معاذ: أنا لست صديقًا لك لأساعدك.....
فك عماد أجزاء الولاعة استرسل: ما هذه الورقة ؟ كانت ملفوفة فيها وكأنها حجاب. .....إنها تحتوي أرقاماً ورموزًا كالطلاسم.
سأعرضها على....فقاطعته :لم أخبرك بما توقعت، ماذا؟
هناك خائن بين قادة الجيش، ولا أعتقده برتبة صغيرة.
عماد يقول بسرعة: معاذ وأحمد توليا أمر التوقعات ...وأمر مندوب تلك الشركة ...على ما أعتقد اسمه راغب.
لن أعاملك بلطف وكأنك تريد إقامة العدل.
سعل أحمد ثم قال: لا تقسُ عليه.
تابع عماد: هذا الإبليس يريد أن يتهم قادتنا بالخيانة..

ابقيا مع المتهم ...سأذهب إلى وزارة الداخلية، لقد كلفوني قضيتك ..أيها المحقق المخلوع.
أحمد: وكيف سنعرف ذلك الخائن ؟
محمد: حاول أن تشيع بين الشرطة أنك وجدت شيئًا قيمًا...
أحمد: نعم .....ثم تابع: أنا مكلف من العميد مالك شخصياً بقضيتك....وعماد رجلٌ فظٌ.
معاذ: انتبه أنت تتكلم عن سيدي.
محمد: اهدأ ..أيها المقشة؛ فلو كنت فعلًا كذلك لبقيتَ بخدمتي حتى نهايتك أو نهايتي. .

ذهب أحمد للوزارة ثم رجع ليخبرنا: كنت في غرفة اجتماع الضباط، كانت تمتد على أرضيتها طاولة كبيرة كلها مقاعد ويجلس في أولها ضابط اسمه رعد، وكان يتحدث مع رجلٍ كمالي طاعن في السن، إن هذا الكمالي كان يعرف رئيس الوزراء المقتول شخصياً وقد غلَب على طباعه التوتر في الجلسة وأما العقيد رعد فلم يغب عن وجهه الاصفرار.
لم أعرف في البداية ماذا أتكلم وسط هذه الرتب إلى أن دخل علينا ضابط وقد كان بأعلى رتبة جلست على الطاولة وقد افتتح النقاش رسميًا فقال: لقد دق ناقوس الخطر منذ أشهر وإلى الآن ما زلنا نحاول معرفة الجهة المسؤولة عن الانفجار.
الكمالي: لا أظن بلدي سينتظر أكثر يمكننا أن ندير التحقيق بأنفسنا بحضور محققين دوليين.
ضابط الدلتا: تكلم أيها النقيب أحمد بشأن المتهم الذي قبضت عليه، إنه من أبرز المتهمين.
لقد بدأنا التحقيق معه...
قاطع معاذ: أين كان سيدي؟
لم يكن عماد موجودًا.
المهم لم يهدأ تحدث الكمالي عن وضع العلاقات التي على المحك.
وقف أحدهم أمام باب قاعة الاجتماع....ثم بدأ يدور ببصره حتى وصل نظره إلي ثم قال: العميد مالك يطلبك .
باغتُ الحاضرين بقول: هناك شيءٌ عرفته من المتهم ...إنه أمر سيوقع بعصابته.
العقيد رعد: ماذا؟
قاطعتُ: نعم لعل رعد الخائن .
عاد العقيد ليقول: أكمل أيها النقيب.
عرفنا أين هبطت الطائرة المهاجمة في السجن السري...
عن إذنكم العميد مالك ينتظرني.

معاذ: لعل العقيد يعرف ذلك العجوز رجل العصابة الأول.
العميد: لا تُهمل المحقق عماد ....اجعله في صفك فهو محقق ذكيٌ جدًا.
أشكر لكم ثقتكم الكبيرة بي.
أنت الوحيد الذي كان قريبًا من المتهم.

تذكرتُ وضع دولتنا المتوتر أمام المجتمع الدولي، وأن جريمة قتل سالم وقتل النقيب سيكونان أفظع مما تصورت إن ارتبطتا بالانفجار، تذكرتُ وصية سالم وعلاقتها بالصندوق والشيفرة بداخله ....

ستدخلني في السجن إذن.
أحمد: طبعًا
سأحاول حل رموز الورقة.
تابعتُ: هل بحثتم عن الخفاش؟
معاذ: ما عرفناه لا يوصلنا إلا لاتهامك أيها المحقق المخلوع.
أحمد: لم نعلم عنه ما يدينه بالانفجار وليس لدينا الا كلمات سالم لك قبل موته ...
رن جرس هاتف أحمد ...من المتصل؟
راغب: المسوق راغب لشركة النعومة لبيع الهدايا ...لقد اتصلت بكم قبل مدة طويلة؛ لأبدأ عملي بمتابعة تحقيقكم.
أحمد: ستباشر عملك ريثما ننهي بعض الأمور ...
هل استطعت فك الشيفرة؟
وضعتُ احتمالات لحلها.

في بيت ينقصه بيت

كنا في طريقٍ يمتلئ بالحفر، واصلنا السير على الأقدام حتى رأينا مشارف بيتٍ خشبي مهترئ في قعر وادٍ عميق .....كانت جدران ذلك البيت باهتة الألوان وأخشابه متعفنة، وزوايا سقفه بيوت للحشرات. سنقيم في هذا البيت لبعض الوقت.
استلقيتُ على سريرٍ قديم ذي أغطية برائحة رطوبة لزمن طويل .....

تذكرتُ سالم الذي كُلف من عصابته بمراقبة جون فرات كما اخبرني ، لا أدري لماذا شركة الهدايا مهتمة بالتحقيق لهذه الدرجة؟

شيفرة بلغة ما

ما بك؟ لماذا وجهك مصفر؟
شجاعتي مع المرض وراءها خوف كبير .

ألقى أحمد عليَ الصحيفة: خذ اقرأ...
لقد وُجه أصبع الاتهام نحو الجبل الأبيض ....وتمت مقاطعتها جزئيًا من دولة عماد الكمال فلا تبادل تجاري -كما في السابق- بين هاتين الدولتين.
أحمد: هل فككت رموز الشيفرة ؟
محمد: إنها صعبة.
تابعت: أريد ترجمة بعض كلماتها ...
وفي الظهيرة جاءني أحمد يقول: أتعبني راغب باتصالاته...لماذا لا يكلم معاذ؟ أو حتى عماد، ألا يوجد إلا أنا؟
لقد كان من سكان عمارة الصياد أي من المتهمين بالقتل أرجو استبعاده.
لنأتي إلى المهم، تلك الكلمات غير مترابطة.
قاطعته: أين كنت كل هذا الوقت؟ ....انتظر لحظة سأخبرك....

لغز الشمس

كانت الشيفرة قد كتبت بلغة ما، ترافقها عمليات حسابية ،وبعد ترجمتها والربط بينهما وترتيب الكلمات وصلت إلى هذا اللغز: جزء لا تنتهي فيه الشمس مثل هنا، يملك الحرية، ولكنه لا يحب لأحد أن يمتلكها. وبعده ب30 كيلومتر في جزءٍ آخرٍ صخوره تعلو 140 متراً فوق سطح البحر، وفي جنوبه سهول واسعة، وفيها مزرعة ستوتلانٍ لرجل عجوز .

أحمد: غريب يصعب حبكه.
محمد: محال أن يكون من صنع سالم...
زرتُ أمك ...لقد كانت مريضة، ولكن اطمئن...الطبيب يأتي إليها بين حينٍ وآخر ....
يجب أن أذهب إليها.....لماذا لم تخبرني بذلك منذ أتيت؟ الوقت يمضي لن تحتاج المحكمة العظيمة وقتًا طويلًا لتبحث في اتهام دولتنا عندها سيعاود اعتقالك.

رأس الأفعى

رجعنا إلى المركز الأمني وبقينا هناك حتى المساء ..
استأنفت الحديث: ماذا كانت لغة الشيفرة؟
يونانية...
سأستجوب الخفاش....كيف نصل إليه؟
لنسأل عنه السجناء، فقد حاولت من قبل أن أجد له عنوانًا في سجلاتنا لكني لم أفلح فهو يغير مقره باستمرار.

أيضاً أريد الحصول على معلومات عن جون الناطق الاعلامي فقد كلف سالم بمراقبته .. لدينا كل المعلومات التي تريدها.

المقبرة العظمى

وصلنا السجن وقد كان عالمًا آخرًا وبرفقتنا مندوب شركة الهدايا ببدلة رسمية ويدعى أمير...
أحمد يخاطب مدير السجن: أنا زميلك في الأمن العام وهؤلاء أصدقائي.
رجل الأمن: ابقوا هادئين أجيبوا عن أسئلة الضيوف بدون فوضى..ثم تركنا الرجل.
قال أحدهم: أترون المكان جميل للزيارة؟ ومن هذا الذي برفقتكم أيظن نفسه في حفلة رسمية للطبقة الرفيعة؟
محمد: لم يكن يعلم بزيارتكم الموقرة.
أحمد: اهدأوا ..أنا أيضاً رجل أمن .....
أحد المساجين: لقد أسأتم فَهمنا؛ كنا نحب زيارتكم في مكانٍ أفضل ..
أحمد: هل سمعتم بالخفاش؟
أحد المساجين بسخرية خفية: أهو رجل أمن أم مجرم؟
أحمد: رجل أمن!
أحد المساجين: لم نسمع باسمه قط.
قام رجلٌ تبدو عليه الرزانة وقال: اسألوا عنه في المقبرة العظمى.
تابع: إنها منطقة تصبح هادئة بزيارة رجال الأمن لها، لكنها تخضع حقيقةً لقوانين الغاب، فهناك مواعيد لإعدام الخونة.
خرجنا من السجن وقال أمير زميل راغب: حان موعد مغادرتي وسهرة سعيدة بين المجرمين الطلقاء.
قمنا بشراء ملابس رجال "الكوبوي" وكانت الأحياء السكنية تختلف كلما تقدمنا في المقبرة العظمى؛ لتصبح قديمة وخربة ومكتظة...كان اسمها في سجلاتنا مداس الهوى..... هناك رجالُ الأسلحة البيضاء يقفون بقرب أحد البارات. كانت جدرانه مطلية باللون الزهري، وعليها صورٌ للمشروبات المسكرة....كان بابه مقسوم لجزأين لتدخل منه فيفتح لك بسهولة ثم يرتد بقوة .... كانت تعمل في البار فتاة سمراء. تقف وتضع يدها على طاولة من خشب الزان، وتنوعت خلفها أنواع المشروبات، وكان المخمورون في أنحاء البار بهيئاتٍ مختلفة.
سألت النادلة: هل تعرفين الخفاش؟
لا ...وإن أردتم الجلوس يجب أن تطلبوا شيئًا.
أحمد: سألناك فهذه إجابتك!
النادلة متأففة: لا شيء بدون ثمن.
ما رأيك بالذي يقدم لك النقود؟
ذكي قليلًا... لأنك فهمت متأخرًا.
خذي المال...
لا يأتي الخفاشُ كثيرًا هنا، وإذا جاء، ورجاله خرج كل من في البار، إنهم يأتون؛ ليعاقروا الخمر ويعقدوا الاجتماعات، أنا لا أعرف أين يذهب الخفاش؟ ... لكني أعرف أحد رجاله اسمه فاتح، ويمكننا الذهاب إليه في ساعة متأخرة ليلًا.....
أحمد: إذن موعدنا الساعة الثانية عشرة.

كما تريدان...
قد نجد فاتحًا في بيته.
استرسلت: سأقفل المحل أيها السادة.
فقال أحد السكيرين بصوت متقطع: ولماذا الآن؟
تحسباً لحملة أمنية متوقعة بالمنطقة.
كان اللون الأحمر يغلب على إضاءة البيوت ...وصلنا إلى بيتٍ مرسوم عليه أشكال غريبة . وكأنه خريطة العالم الآخر .....طرقت النادلة الباب: إن نجحنا فلا تتردد بالانقضاض عليه.
الرجل بصوت أجش: من بالباب؟
أنا النادلة التي أعمل بجواركم.
فاتح: ماذا تريدين أيتها الحمقاء؟
قاطع أحمد: هدئ من روعك يا رجل، ألا تعلم من أكون؟
فقال الرجل باستهزاء: ومن تكون أنت يا هذا؟
أحمد: ستخسر مالاً كثيرًا....
سأدفع لك ما تشاء مقابل جرعة مخدرات تروي عطشي.
سكت فاتح قليلًا ثم قال: سأدخلكم إلى بيتي ولن أتردد باستعمال سلاحي إن أثرتم غيظي، جهز النقود.
فتح الباب فكنا في وجهه ....فأنقض عليه أحمد فطرحه أرضًا فأطلق عليه رصاصة أصابت يده. فضربت فاتح فسقط المسدس.. ..... أما الفتاة فقد تجمدت في مكانها.
إن يدك تنزف يا صديقي ...نزعت قطعة قماش ثم غطيت جرحه ...
لا تثيري المتاعب وإلا.
كان بيت فاتح حاوية قمامة..... اقتله ولا تدعه يهرب .....لم تكن مدة الحوار طويلة ليفكر هذا الطبل .....
ظل الضوء الأحمر مشعًا من البيوت..... كان أحمد يقود السيارة وأنا إلى جانبه وهما في المقعد الخلفي.
لن أحتار بجثثكم؛ فالمقابر كثيرة.....وصلنا المركز الأمني ثم أُدخل فاتح إلى السجن ... أحمد - وقد لفت يده بثقل على رقبته- : المحكمة ستبحث في ملف اتهام دولتنا قريبًا.
أخشى ...أن يثبت تورطنا...بسبب بعض الخونة
استدعينا فاتحًا، أحمد: أين يقيم سيدك؟
أوف ...سيدي ...وماذا تريدون ممن ينتظر حتفه؟
محمد: ليس قليلا به .....عديم الضمير
قاطعنا أمير ثم بدأ أحمد يخبره بالتطورات.
أمير: راغب يشعر بالسعادة لاستبعاده من مهمتي.
محمد: أقدر تعاون شركتك.
أمير: نحن نهتم بإبراز الحقيقة ولكني أريد التعليق على القصة إن سمحتم لي ...ودون أن يأخذ الموافقة قال: أظن أن قاتل النقيب هو الخفاش، ندم على أعماله؛ لذلك هو يعيش حالة من الكآبة الآن؛ ...أنه، يملك العديد من الملكيات، ومنها شركة تنافس شركتنا ...إن أعماله قبيحة ؛فتساعده عصابته لانجازها .....يمكنك أن تأتي معنا لكن لا أظن الخفاش لديه ضمير ليندم على أفعاله.

أمير: لا، سأتي بين حين وآخر إليكم.
ذهبنا إلى بيتٍ مهجور على بعد مئتي ميل من المركز الأمني؛ فالخفاش يسكن هناك من أيام.
تذكرتُ مقاطعة دولة عماد الكمال لدولة الجبل الأبيض والفوضى التي أحدثتها جريمة الانفجار، ولغز الشمس الذي يدل على مكانٍ حدث أو سيحدث فيه شيء ما، ومرض أمي ، وتحقيق المحكمة العظيمة..... وتذكرت الاتفاقيات مع عملاء العدو .....

جريمة في البيت المهجور

إنه يقع في منطقة مكسوة بهدوء يصيبنا بالتوتر وهو يخفي وراءه الكثير من الخبايا ....إنه بيت كبير ومتآكل البناء على تلةٍ تَقع بجانبِ وادٍ صخري ..... كان بابه مفتوحًا، والإضاءة خافتة فلا تنبعث إلا من مصباحين في إحدى غرفه ....وأرضيتها التي امتلأت بالإبر، وحبوب منع الحمل، وبقايا طعام، وزجاجات خمر. تقدمنا للأمام فأحسست بوجود أحدهم معنا..... بعد ذلك بلحظات سمعنا صوتا يرتد صداه في أنحاء البيت...تقدمنا قليلًا للداخل تجاه مصدر الصوت فكان الموقف ....جثة أحد الأشخاص ممددة على الأرض بوضعية جثة سالم والنقيب ...وكانت تخرج الدماء من ظهرها....لتسيل على الغبار والأوساخ.
وبجانب رأسها سيف، وعمران .....رفع أحمد مسدسه بوجههما فرفعا مسدساتهما ....ثم عدلا عن الفكرة.
عمران: أهذا المحقق الذي يمكنه أن يثأر؟
محمد: سنثأر منكما على كل الضحايا.
سيف: إننا الطرف الأضعف الآن.
عمران: نحن عصابة كان لها نفوذ كبير أما أول البارحة فقد كان سيدنا خائفًا أن يقتل، ويترك تنفيذ أي عملية سطو، أو فتوه ، ويبقى ناهراً: اغربوا عن وجهي ....اذهبوا لوذوا بالفرار ... الموت قادم ...
محمد: ألهذه الدرجة كان يخاف عليكم ؟
قاطع أحمد: كان يريد أن يترك له ورثة في الإجرام.
عمران: قلنا له قوتنا ، قال هذا أصبح من الماضي.
محمد: انتهت المسرحية ...أنتما تحاولان إخفاء جريمتكم الثالثة ....أما فاتح فلم يطاوع قتل سيده فأخبرنا بمكانه.....
حملنا الجثة بسيارة الاسعاف فكان وضعي معها بين الأطلال ،والأحلام المزعجة ! وما زال رجال الأمن يجمعون الأدلة.. أخبرنا الطبيب بأن القتل حدث في الساعة الثامنة إثر تعرضه لطعنات متتالية في أعلى الظهر .....
كما توقعت لقد كُتب على كف الضحية "أنا ما ذنبي " بدون أي بصمات...
لكنا وجدنا هاتفاً جوالاً .... والمهم لن يعجبك يا محمد ..وجدنا هذه المرة ورقة مكتوباً فيها رقية.
محمد: رقية !
أحمد: كانت على طاولة قديمة بعيدة عن مكان الجثة ....ولم تكن أي نار مشعلة ...
وصلنا المركز الأمني معاذ: ما هي آخر التطورات؟

أحمد. إن الخفاش .....قاطعته :كان رجلًا رأيتم أفعاله القذرة، ولعلكم ستعرفون عنها أكثر..
حضر أمير صباحًا: صرنا نستفتح صباحنا بوجهك....
أمير: لماذا تقول عني ذلك؟
تابع: أظن أن الخفاش مجرمٌ قد كُشفت أوراقه ... فأرادت عصابته أن تحرقها كلها ...سأكتب ذلك في تقريري ...استدعينا فاتحًا، وعمران، وسيف.
معاذ: إن لهم يد أيضاً في الجريمة .....
لقد حدثت بوجودهم ثلاث مرات .....لن يخرج القاتل إلا منهم.
أحمد: للأسف قد يكون القاتل فتاة.
معاذ: من شابه أخاه ما ظلم.
محمد: المهم وقف حمام الدم ...
معاذ: فهمتُ كل شيء ..مخطط الانفجار المحقق المخلوع..ومعاونته أخته رقية...وأما عمران ،وفاتح، وسيف ؛فهم رجال العصابة...والخفاش سيدها ..أراد محمد إنهاء كل الشهود على جرائمه فبدأ بسيد العصابة ....استمر أمير يكتب.
أحمد: معاذ احتفظ بتحليلك لنفسك.
يا ليتنا مثلك، في عملٍ ننساه عندما نعود إلى بيتنا.
أمير: أتظنُ أنني لستً مهموماً؟
فأنا أريد أن أتزوج؛ فعمري سيصل إلى عامه التاسعة والعشرين، وإلى الآن لم أجد فارسة أحلامي.
.... معاذ: أنت ساذج يمكنك المغادرة يكفيك ما كتبت.
أمير: أنتم تعلمون ...أنا أخذ زبدة تحقيقاتكم؛ ولا أحب أن أرى كل مجرى الأحداث.
معاذ: سأرى من كان يملك ذلك الهاتف.....
لا تحزن يا صديقي ...أختك إن قتلت الخفاش، فلن تُحكم بالسجن طويلًا. لا نعرف ماذا عانت في أسرها ؟
أختي لا تقتل قطة.
خطفها قد ولد عندها دافع الانتقام....
عاد معاذ ليقول: رقية التي ساعدت في قتل النقيب.
أخذنا عمران، وسيف إلى البيت المهجور .....
معاذ: ماذا كنتم تفعلون في هذا المكان؟
عمران: سيدي كان يخاف قتله.
معاذ: علمت ذلك أريد غير هذا الكلام...
عمران: انفصل كل رجال العصابة عنه إلا نحن المخلصون.
كنا جانب الخفاش وهو لا يدري وقد استخدمنا هذا المكان للأسر..
أخاف أن رقية تعرف هذا المكان.
محمد: أكمل.
تابع عمران: راقبناه منذ يومين ...لم نغب عنه إلا في فترتين، عندما ذهبنا لجلب الطعام، ولقضاء بعض الحاجات.
أحمد: إذن جئتم فرأيتماه مقتولًا.
معاذ: قصة فلم سينمائي.

محمد: ماذا جنيتم من المراقبة ؟
عمران: لقد زاره فاتح البارحة وبعد أن خرج بقليل ذهبنا لشراء الطعام وأثناء عودتنا رأينا شخصاً يقف أمام البيت وتبدو عليه الرتابة لكن حركاته كالخائف من شيء حاولنا الاقتراب منه بهدوء لكنه انتبه إلينا فهم بالهروب فتبعناه فاستقل سيارةً كانت تنتظره، حاولنا اللحاق به لكن محاولتنا باءت بالفشل ولم تكن مركبته تحمل رقم لوحة ولم نستطع التحقق من ملامحه، رجعنا إلى البيت ثم رأينا سيدنا ممددًا على الأرض وقد لفظ آخر أنفاسه.
معاذ: كيف كنتم تراقبون؟
سيف: بمنظار.
معاذ: ألم تحدثا فاتح؟
سيف: كنا على خلافٍ معه
معاذ: أها، أين كنتم تقفون للمراقبة؟
عمران:مختبئين قريبًا من تلك النافذة.
محمد: هناك نافذة ملاصقة لباب البيت، ...وكذلك أخرى في جانبه الأيمن في وضعية الدخول إليه، وهناك مثلها مطلة على الوادي.
سيف: لا نستطيع الوصول بالمنظار لكل زوايا البيت.
معاذ: كم كانت مدة زيارة فاتح؟
سيف: لم تتجاوز عشر دقائق.
أحمد: فاتح هو القاتل، أو ذلك الرجل صاحب الرتابة.
محمد: لا أعتقد أن فاتح هو القاتل ....
أحمد: لماذا؟
لا أظنه غبيًا؛ ليكشف نفسه أمام أصدقائه.
أحمد: أو ربما اختلقت كذبًا شخصية الرجل الهارب.
سيف: ماذا يعني ذلك؟
محمد: فاتح بريٌ مما تصفون.
أحمد: وما رأيكم بالورقة؟
معاذ: أظن رقية شريكة بالقتل ...
أحمد: اتفق فاتح مع أصدقائه على قتل الخفاش....
معاذ: ما حدث في قتل النقيب..يحدث الآن.
أحمد: لا أظن منطقة مقطوعة ستحتاج ترتيبات كثيرة ....
محمد: كانا يستطيعان قتل سيدهما بحادث سير وهو في طريقه إلى هذا البيت لذا فهما وجداه جثة ، ولحظهما السيئ اجتمعنا بهما.
....أحمد: ما رأيك بسكين عمران ؟
معاذ: لم تكن عليها آثار دماء.
محمد: إن الجرائم الثلاث متشابهة لعل الزائر الهارب من سكان عمارة الصياد كراغب أو آدم أو يامان أو مستر عيمه .
معاذ: خط اليد بالورقة يفيدنا.
ذهب معاذ؛ ليجلب شيئًا ...
أحمد هامساً: هل ذلك فعلًا خطها؟

محمد: للأسف.
تابعت: لابد أن نبقى حول المنزل فلعل القاتل يعود أو يرسل أحدا...
جاء معاذ مشيراً للصور: كم منظرها مروعٌ !
أحمد: ألهذا جلبتها؟
معاذ: طبعا لا ،ولكن ؛لأريكم الصورة الأهم ...أترون أطباق الطعام البلاستيكية المتعددة ،والإبر ،وحبوب منع الحمل .....لقد بينت نتائج التحليل مخبرياً أن أغلب الطعام لم تمتد إليه يد آكلٍ ....وأن الإبر مملوءة بالمخدرات ....وأن أشرطة حبوب منع الحمل ممتلئة ويمكن إرجاعها لبائعها ....
محمد: يُقصد بالأطباق الممتلئة شيء ...فإن لم تكن الضحية خائفة بل مرتاحة فجلبتها لتتناول كميات كبيرة من الطعام ....فهل ستستعمل مخدرات وإلى جانبها حبوب منع الحمل علما أن صانع السم لا يأخذه إلا في حالات قاهرة كالخوف مثلا؟ هنا يكمن التناقض.
معاذ: بدأت الأمور تتضح ...لماذا لا تكون رقية أسيرة؟ أراد الخفاش الاعتداء عليها فجهز نفسه؛ لأخذ حقنة مخدرات، وجهز طعاماً لغريزته لكنها تمكنت من قتله ...
قاطع أحمد: إذن جاء أعوان الخفاش ولن يبعدوا ورقة تُبعدُ التهمة عنهم ...
هذا كلام مؤلم.....هناك... ها هي الصورة.. انظروا لتروا خيوط الدم، فهي تبين أن الضحية وهي في الرمق الأخيرحاولت الوصول إلى الطعام والحبوب والإبر..
محمد: أتظنون لماذا أراد شبه ميت فعل ذلك؟
معاذ: لعلها محض صدفة.
محمد: لعلها إشارة لشيء ما .....
أحضر نتائج فحوصات الدم...
أحمد: هل سيفيدنا ذلك؟
أنا أشك أنه كان مدمن مخدرات.
أحمد: قد يفضل الخفاش الموت بسمه.

محمد: تعال؛ لنجلس على هذه الصخرة.
أحمد: هل اشتقت لجوليا؟
أهذا الوقت المناسب لسؤالك؟
انسَ ما قلت ...
محمد: لا، أشتاق لها كدرجة كره الظلام للنور، وكحب الأرض المتشققة لقطرات من المطر ... فقلبي بركان إن انفجر؛ سيخرج الخبر ..كلمات وكلمات لن تغطيها سماء، أو يسعها بحر ... فسماء قلبي تصدر ألحانها بين الغيوم، ومع المطر، وفي ضوء القمر، ومع أشعة الشمس في نهارٍ فيه الدرر؛ لؤلؤةٌ وماسةٌ تحكي قصة سمر بين النجوم وفوق القمر ....وبعد أن انفجر ستنفجر الكلمات مرات ومرات حتى تكون على كل حجر. كلمات قلبي في أوراق دفتر ... دموعي له حبر مسطِر ....وعيني تدمع بدمي أكتب بين الأسطر ...جوليا هي قلبي، وليكون ،ويكون ،ويكون اسم جوليا طيبةً تقود كل بصر ....
كيف حال أختك؟
بخير لكنها تفتقد أمي بعد أن عادت إلى لوس أنجلوس. تابع: لم تستطع العيش بالدلتا.

اختلاف العادات واللغة.
ألديك كل هذا الشوق لجوليا.
أجل، إني أحاول تناسي الأسى في قلبي باشغال عقلي بأمل اللقاء بجوليا.
كان الطريق إلى البيت أمامنا وبعد عدة دقائق على حديثنا رأينا أضواءً تسلط من بعيد على واجهته وتمتد إلى جانبٍ من الوادي..كانت تنبعث من سيارة توقفت على بعد 20 متر منا، ثم نزل منها رجلُ لم نرَ منه إلا معطفه وتحرك خطوات مقتربًا من البيت ...انتظرنا اللحظة المناسبة للإمساك به....توقف صاحب المعطف فجأة في مكانه فقد رأينا رجلًا آخر من بعيد يشعل مصباحًا ثم يطفِؤه...لقد انتبه للرجل فهرع راكضا إلى سيارته وما زالت المسافة بيننا كبيرة ،ثم ابتعد الرجلان عن المكان.
حضر معاذ بعد ساعة ثم أعطاني نتائج الفحوصات..
محمد: كانت زمرة دم الخفاش -O ،إن دمه نظيف من أي مخدر.
إن لم تكن الضحية تتعاطى ....فلماذا جلبت الإبر إذن؟
فرد معاذ بسؤال: لماذا لا يكون القاتل من أحضرها؟
محمد: لكن الضحية أشارت لهذه الأشياء.
أظنها رسالة،ولن أهدأ حتى أعرفها..
التفتُ إلى أحمد: إذن الإبر لماذا تُتجرع؟
أحمد: لتروي ظمأ مدمنٍ عليها.
محمد: وإن لم يكن مدمناً.
إذن هناك مقصد آخر.
إن الإبر تدل بالنهاية على وجود مخدرات فيها؛ حتى لو لم تُحقن ...وأن حبوب منع الحمل تُستخدم للحماية من حدوثه أو أي شيء بهذا المعنى حتى لو لم تستعمل.
معاذ: وما رأيك بالطعام الممتلئ؟
كانت الضحية تستطيع جلبَ كمية أقل لكنها اشارة لطعام حتى لو لم يؤكل يعتبر مخازن للفيتامينات والبروتينات الخ..
معاذ: ...ما الفائدة من هذا الكلام؟
محمد: بما أن هذه الأشياء لم تستعمل لمقاصدها المشهورة أرى أنها رسالة من الخفاش تقول: احموا مخازن المخدرات ...
معاذ: غريب هذا، لماذا يخاطب رجال الشرطة؟

خرجنا من البيت المهجور وبدأنا البحث في ممتلكات الخفاش وبدأنا بأهمها: البنك... ..معاذ: ما الذي سنجده هنا ؟
محمد: سنحاول الدخول إلى الأنظمة المحوسبة بمساعدة مدير البنك فلفت انتباهنا أحد العملاء يدعى عمر ويتكرر اسمه كثيرًا في الحوالات المصرفية ...تحرينا عنه -فيما بعد- فوجدناه كان يملك حسابات بقيم مالية مرتفعة ....ولكنه قبل الانفجار بشهرين سحب جميع أمواله....
أحمد: أين سيدك الجديد؟
معاذ: مشغولٌ بالوزارة بقضيتنا الكبرى ...
سأترككم وأنا ما زالت أفقد الأمل.
محمد: لمن كان ذلك الجوال ؟

أحمد: كما حدث سابقاً هاتف مسروق.
لماذا عاد صاحب المعطف إلينا؟
ليرى ماذا حل بجريمته؟

هل كان الخفاش خائفًا من عصابة العجوز؟، إن أصابع الاتهام بدأت تقترب أكثر من أصدقاء سالم، هل تورطت رقية بالقتل؟، ومسرحية الزائرين: فاتح والرجل الهارب وتلك الرسالة الذكية "احمو مخازن المخدرات" وعمر صاحب الحوالات المالية الكبيرة.

ما يتمناه الكبير قبل الصغير

كانت أكوام التراب إلى جانبنا ، ونفحات الهواء ترتطم بأجسامنا ...موقع الانفجار كان أمامنا كشابٍ حزين ينظر إلى مستقبله، ولن يشعر بالارتياح قط إلا إذا عانق جسده التراب.
أنت متوتر جدًا.
قلة النوم...
إنها الدموع الحبيسة في عينيك، أنت لا ترى كيف تبدوان؟
وكيف هما؟
حمراون في أطرافهما أمواجٌ من الدموع تلمع مع الأضواء..
ما رأيك بطعام لذيذ تطهوه أمك؟
اشتقت إليها كثيرًا
قبلت يد أمي وعانقتها فشعرت أنها تحاول بعينيها الطيبيتن ويدها الحانية على كتفي حمل الهموم عني.
أمي سامحيني أنا لم أخن بلدي فأنت التي ربيتني على حب وطني والفخر بديني.
يا بني أسال الله أن يحفظك وأوصيك بتقوى الله وحسن الظن به فالله لن يضيعك.
فتحتُ غرفتي: اشتقت لكِ ... .حقاً استفدت من علاقة الفلاح مع الجمادات ....فوجئت أنها ما زالت كما تركتها ... ..سنغادر الآن.
أمي: ولكني أريدك أن تبقى ، فقد تعبت من غيابك أنت ورقية.
أعدك أني سأجدها.
لو أنك تأخرت قليلًا؛ فأنا لم أكل طعاماً لذيذًا منذ أيام؟
لا يمكنني أن أطيل النظر في عيني أمي.
أنا بنظر العديد متهم ولم تثبت براءتي.
كانت تحيط بمركز الصياد أشجارٌ غير مثمرة... وليس من الغريب أن يحوي خلف قضبانه مجرمين ماكرين ....
جلسنا على كرسيين متقابلين في مكتب عماد.
أحمد: ما رأيك بهذا اليوم؟
محمد: كان لطيفاً مع أمي، وسيكون كئيبًا الآن ... .وقبل أن يرد أحمد... دخل عماد ....

عماد يخاطب أمير: سيقابلك معاذ بعد قليل.
تابع: أهلا بالمحقق المخلوع ...لا أحب رؤية وجهك اللعين ...
هل تريد أن تثبت براءتك؟ ...قل لي متى؟ حضر حالك لحبل المشنقة.
تريد الترقية وحدك أليس كذلك؟
أحمد يهمس في أذني: لا أعرف لماذا يهتم العميد مالك بأمره؟
في عينيه أرى كرها يشعرني باليأس.
تابعتُ: اجمع معلومات عن عمر لعله يفيدنا....
جاء معاذ وبرفقته أمير. معاذ: إنه شاب كان يعمل في شركة الأجهزة الإستخباراتية ...إن أصدقاءه من ذوي المراكز المجتمعية المرموقة.. كان عمر غنيًا قبل أشهر وهو الآن لا يملك ثُمن ما كان يملك، وهذا عنوان سكنه...
ظل أمير يكتب ثم قال بلهجة مرحة: أتمنى أن تجدوا القاتل؛ وأحصل على ترقية ..ثم انكسرت نبرته: لكنه صعبٌ عليكم....
لم ننسَ رسالة الخفاش ...احموا مخازن المخدرات...

فندق نجوم بين الأزقة

كان الجوُ صقيعا ببرد الشتاء، تركتُ أحمد، وذهبتُ لأبحث عن فندقٍ آوي فيه لفراش مريح ....كان فندقًا قد رسم الزمان عليه القدم، ولبناته باهتة اللون. رأيت بابه الزجاجي .... تعلوه لافتة كُتب عليها فندق النجوم ثم رأيتُ عجوزًا يجلس على كرسيٍ، ويغط في نومٍ عميق واضعًا رأسه على منضدة خشبية.
....عندما حان موعد الفجر ذهبتُ لأصلي في المسجد فكان إلى جانبي رجلٌ شاحب الوجه ويتلو القرآن الكريم، ولم ينفك عن البكاء؛ فيسيل نهر الدموع من عينيه غاسلًا وجهه من كل السواد الداكن ...كان يعاني من ماضيه الأسود مع الإجرام ...وبعد أن تاب يصعب عليه العيش بين الناس كأي شخص ...

نذير خيرٍ أم شر

ذهبتُ إلى المركز الأمني...
أحمد: كيف مزاجك اليوم؟
محمد: ليس له لون أو طعم.
ألديك طريقة لحل اللغز؟
جزءٌ لا تنتهي فيه الشمس مثل هنا يملك الحرية، ولكنه لا يحب لأحد أن يمتلكها ...
أريد معلومات أكثر عن عمر.
حضر معاذ بعد هذا الحديث.
أحمد: هل بيتك بعيدٌ لهذه الدرجة؟

معاذ: ما هو هدفكم أيها الساذجون؟
محمد: قابل عمر...
أحمد: نتعلق، ولو بقشة.
جاء معاذ بعد ساعات: أخبرني أنه عمل إعلاميا بشركة الأجهزة كما عمل في العديد من المؤسسات، وأما تلك الحسابات المالية الكبيرة فلا يعلم بملكيته لها.
عرفت أن الخفاش يملك موقعين للمخازن إحداها بجانب مركزٍ أمني وهذا ما استبعدته ..والأخر يبعد مئة كيلو متر عن هذا المركز.
محمد: ما استبعدته يستخدم لتخزين المخدرات ...
كانت الساعة الرابعة مساءً.
أحمد: هناك ثمانية أبواب لها ...الطريق معبد يمر أمامها صعودًا إلى المركز الأمني ..ضرب أحمد باب مخزنٍ بقدمه،فتحتْ إحداها فصار يلتف -كرول من الكيك-. بدأت العصافير بالخروج منه ..تذكرت حينها خفافيش نائمة في كهف مظلمٍ في رحلة استكشافية ...
رفوف ورفوف.....
أين المخدرات؟ .....هناك خطأ ...
أنا أثق بالرسالة...
أشار أحمد بيده: ذلك الدَرج هو آخر أمل لنا...رأينا مكتبًا وأمامه مقاعد مكسوة بالجلد ... وجدت ملفا...
هذه التي على الكرسي ..مخدرات ...غادرنا إلى "كرنيش" نهر العراقة ...
أحمد: سأفحصها لأعرف نوعها ...
محمد: إنها إشارة فقط ..
في أولى أوراق الملف أرقام حسابات بنكية خارجية حُولت منها مبالغ كبيرة إلى بنك الخفاش، وأعطيت كأجر للعصابة بناءً على مشاريع تنموية اتفقتْ عليها مع عدة أطراف سيد سلامة رجل أعمال، وصلاح نصار عضو في مجلس الشورى، وصادق محمد وخطة عملها مراقبة عدة أشخاص وهم: جون فرات وعمر خالد، وأنت يا أحمد ومحمد الأمين .... وراغب وأشرف نور.
أحمد: لا يمكن اتهام شخصيات مرموقة في المجتمع بناءً على مذكرات مجرم دون أدلة فأنا لا أملك الا لغزًا مبهمًا ...
في هذه الورقة كلمات تتغنى بالوطن...وكأنه يخبرنا أنه لا يجبر المتعاطي حتى يتعاطى المخدرات ... وأنه لا يسرق إلا أموال العصابات ...وتلك المشاريع التنموية تُهم الاقتصاد الوطني.
أحمد: كره سالم عمله مع الخفاش مع أنها مشاريع وليست مقابلات عملاء.
لكن جون فرات قد ذُكر بالأوراق، من المؤكد هناك علاقة بالانفجار.
أحمد: كره سالم للخفاش ربما سلم رقبته لسيف وعمران.
كما أن سالم رفض تسليم مستقبل ولديه للعصابة وصادق محققًا بالشرطة.
أظنك ضحية مؤامرة، فلعله متورط بأشياء لم يخبرك عنها، أنا بجانبك.
من يسرق أبناء وطنه يبيعه في أفضل فرصة متاحة، الخفاش خائن.
أخاف أن تصل لقناعة أنك مذنب.
سأثبت أن الانفجار كان الخطر المرتقب .... كلهم موتى من المستفيد؟
لماذا رُقب عمر ؟

لا أعلم.
وراغب.
لتوريط شركة الهدايا بالقتل قد يكون صلاح نصار أو صادق محمد من أراد ذلك.
قد يكون عجوز الغابة طرفاً بالمقابلات، لماذا خطفت أختك؟

ذهب أحمد ليفحص عينة المخدرات ....فتركني أمام نهر العراقة الأم الحنون لنا ....
يا له من قرار! ...
تابع: انتهى عصر الحشيش، وبدأ عصر "إكستازي"
محمد: مخدر الملاهي الليلية؟
أحمد: يصيب متعاطيه بالنشوة والميل العاطفي ويزيد العبء على القلب.
أنا لا أفهم ...لغزٌ كُتب بلغة يونانية...
تابع: ما علاقته بسالم؟
أعتذر لقسوتي عليك ...لكن دون تطورات قد يعاود احتجازك.
كيف أصل لمقابلات العملاء؟ ...
هل لي عمرٌ طويل؟
فقلتُ متمتمًا:
أسفا أسفا للحياة فكل ما فيها ألم وشقاء
فالعمر ينقضي ولم نرَ وجها للرخاء
ليس الرخاء في نظري أن تكون ذا مال وسخاء
ولكن الراحة تعني حب الحياة بكل شوق وعطاء

أحمد: المعلومات التي جمعت من العصابة: محمد الأمين بدأ عمله بالجد ولا يمكن اغراءه بالمال .....وجون فرات: ناطق إعلامي لشركة تصنع أجهزة إستخباراتية إنه شخصيةغريبة .. وعمر زميل جون في العمل ويقابله كثيرًا وله ماضٍ أسود في عمله في مجلات هابطة. ... وأحمد أمينُ شرطة في منطقة الصياد ربما يمكن اغراءه بالمال ..وراغب مسوقٌ لشركة هدايا ويتردد على طبيب يدعى صادق وأصدقاؤه شخصيات مثقفة...والنقيب أشرف نور نزيه ولا يرضى بالتجاوز على أبسط التعليمات الادارية.
هل تم اغراءك بالمال؟

تابعت: هل شركة الأجهزة مظلومة؟.
أحمد: أرجو ألا نكون في مستنقعٍ من الأوهام...
لِمَ يقسو عماد علي؟ ،هل استيقظَ ضمير الخفاش؟ ولماذا لا يعتبر السرقة ـ لغير الجائع ـ خيانة وطن؟، ما العلاقة التي تربط جون بعمر؟

مفتاحٌ في جعبة الحكومة

محمد: يجب مقابلة جون.
أحمد: ولكن الحكومة قد استجوبته فلم تصل لشيء؟
أعرف ...ولكن هل شركة الأجهزة مذنبة؟

تابعت: لماذا يُراقب المحقق والضحية ولماذا يراقب الخفاش عمر وهو عميل مهم في بنكه؟

كان موعد الربيع يقترب..وأمام المركز الأمني كان أحمد يلبس معطفًا ...ذهبنا إلى بيت جون فرات كان بيتًا بسقفٍ أحمر...وأمام بابه يقف رجلان ضخمان متسمران بملابس مدنية...جلسنا في صالة كبيرة، ومفروشة بأثاث خمري.. .وعلى أول الدرج الذي كان يذهب إلى الطابق الثاني يقف شخص بضخامة أولئك الرجلان ....
انتظرنا جون قليلًا حتى سمعنا صوت ضرب أقدامه ....
محمد: قبل شهرين ونصف وأكثر قابلتُ رجلًا متوترًا فقص علي قصة غريبة المهم فيها اقتراب حدوث الخطر الذي يهدد دولة بأسرها، وقد أخبرني بأنه يعرفك، ما علاقتك به ؟
جون: هل أنت المحقق الذي عرف بشأن المقابلات السرية مع عملاء العدو؟
نعم...تابعت: إذن تعرف عن من أتحدث.
إذن لماذا لم تتحرك وتمنع الانفجار؟
لكني لم أحصل على معلومات تساعدني في منعه..
معك حق حتى أنا لم أكن أعرف أنهم يخططون لانفجار...سأخبرك ببداية القصة.
حدث هذا قبل وقت طويل ....انتبهتُ لرجل أمام بيتي يجول حوله ففي البداية لم أُعره اهتمامي ...وفي نفس اليوم وأمام مكان عملي رأيته بملابس أخرى ....وفي عودتي إلى بيتي رأيته أيضا.. إن ذلك لم يعد مصادفة. باغتُ الرجلَ بمسدس.
من أنت؟ ولماذا تراقبني؟ فهددته إلى أن دخل حديقة بيتي.
سالم يلهث: أنا أعمل في شركة أوكلتني بمهمة مراقبتك.
فلم أصدقه...حتى قال لي: أنا رجل عصابة.
وفي ذلك الوقت أردت تسريب معلومة عن المقابلات مع عملاء العدو لأحد رجال العصابات فجاء لي بقدميه.
جون: هل نعقد صفقة؟ سأبيع المخدرات؛ لأطفال المدارس أنت عليك أن...قاطع سالم: اقتلني فذلك أفضل لك ....
محمد: لكنهم يبيعون اكستازي للشباب في الملاهي الليلية.
أحمد: تفكيرهم متناقض وهدام.
جون: كان الوضع حينها لا يسمح لي بالتأكد أكثر من سالم، كنت أريد فقط أن تصل المعلومة لرجال الشرطة.
أنت تعلم بأن العصابات تساهم أحيانًا في تسريب المعلومات للشرطة.
فقلت له: أنا أعمل في شركة؛ لتصنيع الأجهزة الاستخباراتية ...كنت سعيدًا فيها قبل أن أسمع بالصفقات السرية التي عُقدت مع رجال أعمال عملاء للعدو لأن بعضهم يتحدث العبرية هكذا سمعت من بعض زملائي.
سالم: ماذا؟
جون: أظن أن خطرًا يقترب ....
استمر سالم بزيارتي لثلاثة أيام وعدته فيها أن أزوده بالأدلة التي تساعد الشرطة ..ثم انقطعت أخباره عني حتى سمعت بمقتله، وللأسف لم أحصل على أي أدلة..
قلت له أخبر أحد المحققين عن الخطر المنتظر بعيدًا عني فلا بد أن عصابتك لها علاقة خبيثة مع مقابلات العملاء في شركة الأجهزة بما أنك تراقبني لا أظنها محض صدفة.

كيف وثقت بسالم، فربما كان يخدعك وكان من عملاء العدو...
حاولت أن أعمل ما في وسعي اتجاه بلدي ولا أعتقد أن معلومة بدون أدلة إن ارسلت بالبريد لرجال الشرطة ستلقى اهتمامًا منهم مثل رجل عصابة استيقظ ضميره فجأة فتواصل معهم.
لماذا لم تخبر الشرطة بنفسك ؟
كنت أخاف على عائلتي وعملي ربما كنت سأتواصل معكم إن كنت أملك الأدلة حول شركتي...
تابع: ان صديقي عمر نصحني أن استعين برجل عصابة.
أين يسكن؟
في حي الزهور.

أراه لأول مرة
ذهبنا إلى بيت عمر كان يوجد أمامه مجرفة وعربة ....طرقتُ باب بيته: من بالباب؟
أنا المحقق محمد من مركز أمن الصياد وما إن فُتح الباب حتى ظهرت على وجهي الدهشة.
من صديق الطفولة ....فأخذني بالأحضان ...
هذا صديقي أحمد وهذا أمير مرافقنا.

هل صرت صحفيًا مشهورًا كما حلمت؟ فقد كنت تخطط للعمل في الخارج.
أنا مشتاق لك كثيرًا يا صديقي. انظر كيف كبرنا.. كنت أتابع أخبارك وقد اتهمت بجريمة الانفجار.
وأنا الآن أسألك ...كيف عرفت بشأن تلك المقابلات السرية؟
سأخبرك من البداية عملت في مجلة ثقافية في الخليج، كنت أتعب نفسي في كتابة المقالات.
فيذهب ذلك أدراج الرياح ...يقول رئيس التحرير: ما هذا الذي كتبته؟ ...عن العلوم والدين؟
أتريد أن تقفل المجلة؟ يا رجل أكثر من الكتابة عن الفن، ألم تفهمني بعد؟
لكن ألم تبحث عمن يقدر جهودك فما زال هناك شرفاء حولنا؟
الحياة صعبة والأجر القليل لا يسد حاجتي.
لقد عرفتُ أن المجلة تعمل لنشر الانحلال في غطاءٍ طيب.
ومع ذلك بقيتَ تعمل فيها.
أجل وكنت أنفذ ما يملى علي خطوة بخطوة حتى عرفني مدير المجلة على رجلٍ طويل القامة، وبشعر كشعر الحصان.
إذن كيف عملت ناطقًا إعلاميا؟
كان ذلك الرجل مالكًا حقيقيًا للمجلة.
أعجبته فعرض علي عملاً في شركة الأجهزة الاستخباراتية. وعندما وصلت الدلتا عرفني برجلٍ اسمه الخفاش وقال لي: اطلب منه أي شيءٍ تريده فنفوذه كبير ...بدأت عملي في الشركة وقبل أشهر تأكدت أن معاون أمس أصبح عدوًا اليوم فبدأ يبعث رجاله لمراقبتي.
لقد فعلت الكثير... الكثير.
زار وفدٌ الشركة ، ولم يسمح لكل العاملين بالحضور، حتى أنا لم يتم استدعائي. ولم أستطع الحصول على أدلة حول تلك المقابلات، إلا أنني حصلت على شيفرة لكن للأسف بعد فوات الأوان وحصول الانفجار عرفت أن اللغز الذي نتج عنها يشير إلى مكان حدوث شيء، ثم أرسلته بالبريد إلى الشرطة دون أي شيء يبين هويتي.

أعرف ذلك.
جعلتُ زميلي جون يتعاون مع عصابة الخفاش .....كنت أعلم أنهم يراقبونه فوجدته أفضل معاون لكشف تلك المقابلات... أردت أن أسقي سم الخفاش لصانعه فرميت سنارة الصيد، لكني لم اعرف أني سأنتهي بصديقي محمد....
لماذا اعتقدت أن رجل الخفاش سيساعد فربما كان خائنا لبلده ليوقع الأمر برأسك ورأس جون؟..
لا أظن جون غبيًا لا بد أنه اختبر قلب ذلك الرجل وبقاء شيءٌ من الخير فيه، فأنت تعلم ربما تجد مجرمًا لا يسرق الا الأغنياء.
الخطأ يستحيل أن يراه العاقل صوابا وربما حجر صغير على الحمل الكبير قصم ظهر البعير.
أعلم لسنا قضاة لنحاسب بعض الأغنياء على أفعالهم وبخلهم فنسرقهم.

انظر هذه ترجمة الورقة التي حصلت عليها متأخرًا: هناك مقابلة بعد يومين. ابحث عن المكان في اللغز الذي سينتج عن الشيفرة.
ما اخبرتني به لا يكفي للقبض على ملاك شركة الأجهزة إلا أنه يزيد من اتهامها فقط بشهادتك.
عمر: من أين حصلت على ورقة الشيفرة؟
من رجل يدعى سعيد خالد قبل وقت طويل وقد ادعى أن سالم أعطاها إياه.
من الغريب أن يحصل سالم على ورقة الشيفرة، إنه لم يكن يعرف بشأن المقابلات قبل أن يخبره جون.
هل هذا يعني أن سعيد خالد كان يكذب؟
بالتأكيد ربما يكون أكثر من كونه كذاباً
كيف سأحل اللغز؟ استعانت شركتنا بعالم من دولة الذهب الرافد لذلك وهذا من عرفناه بعد حدوث الانفجار.
فيقال أن فيها علماء ألغاز ومعرفتهم قامت على أنقاض الحضارة اليونانية، وعظمة الإسلام.
ولهم بعض الأحاجي وتسمى ملي مانفوء Μέλη μαύρο،وتعني الدول السوداء.
و"ملي مانفوء" تهاجم بعض الدول المستبدة.
إن رعونتكم وجبنكم ضللا العدالة فلو نسيتَ ماضيك مع الخفاش وتحملتَ العواقب لربما منعنا حدوث الانفجار، أنتم حقاً الخونة.
لم أكن أعرف أنه انفجار ...ولا أملك الأدلة غير المعلومات المسربة عن الاتفاقيات والتكهنات..لا أعرف..
أمام بيت عمر جاءني اتصال: ما بك أيها الذكي؟.. وثقت به بسرعة كبيرة ...نحن نقدمه لك الآن ...فتش بيته وسترى صدقنا...
هل من شيءٍ يا صديقي؟
سأفتش بيتك.
ظل أمير يكتب ما يحدث، بحثنا في كل مكان فوجدنا بعض الكتابات الأخرى عن الدول السوداء من أين لك هذه الأوراق؟
تابعت: أظنني خسرت عمر.

لقد دسوها لي..أنا لم أعرف عن هذه الكتابات إلا مؤخرًا ...آه من العصابات.... ابتعد عنها يا محمد ....ستموت حقاً ....أظنه الخفاش،يكرهني.
لقد قُتل الخفاش ...حاولت تذكر الخير في حياتي مع أمي وأحمد وموقف الرجل الأجود ومساعدة الفلاح لي.
ذهبت إلى نهر العراقة ثم جاء أحمد وأمير.
أحمد: ماذا ستفعل الآن؟
محمد: قبل أن أجيبك ...انتهى دوامه.
أمير: يمكنني الانتظار.
فقلتُ بمضض: يُفضل أن ترحل....
نريد من استخباراتنا في نورمان (عاصمة الذهب الرافد) الوصول إلى أحد علماء الألغاز...
إن الماضي الأسود والخوف على العائلة أحدثا الانفجار فعلًا، هل سعيد خالد صاحب المعطف وهو من قتل سالم وارتكب الجرائم؟
حاولت الوصول إلى سعيد خالد من معلومات بطاقته الشخصية التي حصلت عليها حين مقابلته في مكتبي ، إلا أن ما أشعرني بالسوء أن سعيد خالد خارج البلاد وقد سافر إلى دولة الجبل الأبيض بعد أن قابلته بفترة قصيرة.

انشق قلبي نصفين

محمد: لماذا تأخرت؟
أحمد: هل مللت من العراقة؟
أنا أُحبه فلي معه حديث عن الماضي والحاضر.
لقد طلبتُ بعض المال.... وذهبت إلى بيتك.... و..
تكلم فأخبارك صارت كوجهك.
هل سيسعدك ما سأقول ..؟
قل، أفزعتني.
أحمد: جوليا ....عادت ...
تابع: جاءت وسألت عنك.
هل أذهب لها؟
لا أدري لكن أتمنى أن تعرفها – كما قالت والدتك-
ماذا تقصد؟
أحمد: اذهب، وسترى بعينك.

أردتُ ابتسامة تواسيني ....كان بيتُ جوليا رمادي اللون، وأمامه تقفُ سيارة سوداء ...ومع سوء الجو المغبر لكني كنت أحسه شاعريًا فإحساسي به لا يحتاج فقط لمؤثرات ملموسة؛ فالحب الحقيقي يصنع أي شيءٍ جميل. فكما كنت في غربتي أتذكر جوليا جالسًا أمام الشاطئ في وقت الغروب، والهواء العليل المنعش يداعب شعري.. .وموسيقى هادئة تطرب سمعي مع صوت أمواج البحر، وبريق عينين جميلتين يلمع في عيني؛ فعندما أحببتُ جوليا بصدقٍ أخذت في قلبي مكانًا لا يتعدى عليه أحد لأشعر بمدى الحب بيننا حتى وإن لم تكن موجودةً أمامي وأبقى متيما أنتظر اللقاء.

جوليا: من بالباب؟

أنا أحد الأصدقاء.

جوليا: محمد..

أردت أن اتكلم لكن عيني سبقت لساني فكانت تلبس على الموضة الخليعة. وشعرها يتطاير، انها ليست الفتاة التي أحببتها.

لن ترحب أمك بي خاطباً لك بدون مستقبل ولم تنتظر حتى أعود من غربتي ونتزوج فيا لها من واشية. أرادت أن تجعل منك طبيبة، تتباهى بها أمام الناس ثم تزوجك لغني. كيف حالك الآن؟ هل حققت ذلك؟

تكلمي رجاء.

ماذا سأقول لك؟ لست جوليا التي تعرفها.

لماذا؟ ماذا جرى لك؟

ألا يعجبك مظهري؟

لا... لم أحبك هكذا.

أرجوك لا تزد همي.

أي همٍ ؟

أنا إنسانة فاشلة عالة على المجتمع.

محمد: ما هذا الكلام؟ هل وضعك بهذا السوء؟

لقد سافرتُ والتحقتُ بكلية الطب في جامعة روسية وما هي إلا أشهر حتى بدأت الغربة تؤذيني فتشعرني بالوحدة والبعد عن أخ يقول لي كلمة تغمرني بالطمأنينة فاندفعت إلى التعرف على أصدقاء. تعرفتُ زميلةً عربية في دراستي ثم جعلتني أدفن أخلاقي بيدي، وتدرجت معي بأساليبها، حتى علمتني فن المغازلة، وجرفتني خطوة بخطوة عن مبادئي حتى اوصلتني إلى هاوية الممنوعات. فنذهب إلى أحد البارات ونشتريها من هناك ...وانتهيت مع نوع منها يدعى إكستازي، فأفقدني أغلى ما أملك ..فدُمرت كلياً .،وشعرت أني لا شيء .فما عدت أذهب إلى الجامعة فتكررت الإنذارات حتى ضاع مستقبلي...

لا تكملي ...للأسف كنت دائماً ببالي يا عديمة الأخلاق.

لماذا غادرتِ بلدك وأنت ضعيفة ؟

إن زينتك تكون في احترامك لنفسك فتظهر بوادره في لبسك وتكونين جميلة الروح ولك قيم ومبادئ تحفظك من الضياع..

لم أسافر لأتعلم تخلف الشعوب...اغربي عن وجهي ...لا ..لا يجب أن أغادر ...شعرتُ بالدوار، وأصبح في قلبي جزء يملؤه الحب، وآخر يملؤه جرح الخيانة.

لا أعرف كم سأصمد؟

أقنعتُ نفسي أن جوليا لم تعد بعد ...لقد ماتت .....وأني سأجد أختي، وسأنتقم من تجار الممنوعات ...نعم، وسأبرئ نفسي من التهم، وسأعرف القاتل.....

أحمد: آه نسيت إخبارك. هل تعلم من قابلت في مكتب العميد ؟
من؟
الخائن العقيد رعد.
هل تظن أن سيرته جميلة الآن؟
نحن لا نملك أدلة ضده والقبض عليه يثبت تورط حكومتنا أكثر.

منطقة النجم الخلاب

كُلف جميل شاب قوي البنية ويهتم بتفاصيل الأمور في الاستخبار عن أحد علماء الألغاز فأرسل إلينا يقول: فور وصولي إلى المنطقة القديمة في نورمان بحثت عن صالون حلاقة، فكان يعمل فيه شابٌ باهر العود....
أتريد حلق ذقنك؟
جئتُ أسألك عن علماء الأحاجي.
والد الشاب: أنت مخبر...
جميل: لا أنا باحثٌ أكاديمي وهذه بطاقتي...
الشاب: سأجيبك ....
مشاكل أولئك العلماء كبيرة لأنهم يوجهون أقلامهم نحو الدولٍ مما يخلق الضغوطات على حكومتنا.
أين أجدهم؟
العجوز: في النجم الخلاب تجمعهم ...
أقمت تلك الليلة في فندق ..... عندما استيقظت كان الجو باردًا فتبدأ أسناني بالطقطقة، والزفير يخرج من فمي كدخان سيجارة ...اشتريتُ قفازات وسترة جلدية. في محافظة الظاهر بيبرس قرأت: ملف الدلتا بين يدي المحكمة العظيمة، والضغوطات عليها من كل جانب، وسيتم إعلان موعد جلسة التحقيق بعد أيام...
رأيت العديد من المناطق الأثرية التي تعود للمسلمين ثم دخلت مسجدًا لأصلي... كان موعد مجيء العالم...
كان حسن المظهر، جميل الصوت...ذو لحيةٍ وشاربٍ خفيف
العالم: بماذا أخدمك ؟
جميل: هناك لغز أريد حله.
صمت قليلًا ثم قال: هل عدم الوفاء دائما يعتبر خيانة؟
طبعًا لا.
هل تفكر بقول الحق أولا أم بالعواقب؟
لا يهمني شيء ما دمت أقول الحقيقة..

بالتأكيد فالحق أقوى من الباطل لكن لابد أن تختار الوقت الصحيح والمكان المناسب لاظهار الحق ..كانت الرياح بكل فج تُخاطب سمعنا، وشدتها تحرك أوراق الشجر في طريقي لبيت العالم ...وفيه كان السجادُ إيرانياً، وتحف عديدة مصنوعة من خشب البلوط .
ما هو اللغز ؟
جزء لا تنتهي فيه الشمس مثل هنا، يملك الحرية، ولكنه لا يحب لأحد أن يمتلكها، وبعده ب 30 كيلومتر في جزءٍ آخرٍ صخوره تعلو 140متر فوق سطح البحر وفي جنوبه سهول واسعة وفيها مزرعة ستوتلان لرجل عجوز.
لماذا تريدون الحل؟
لرفع الظلم وفي حله حل آخر.

الدول السوداء

تذوق تمر النجم الخلاب.
لماذا تكتبون الألغاز؟
نكتبها كما في هذه الورقة، ثم نذكر الوقائع والصفات المتعلقة بالدولة السوداء فيبقى على قارئ اللغز معرفة الحل.

ذهبنا إلى مكتب العميد مالك .....
تفضل .....أنتم ...ماذا حصل معكم؟ فصمتنا قليلًا ولا نعرف لماذا ترددنا بالتكلم.
عليك أن تقبل أنك مجرم، قد لا أقول لك ذلك في وقت لاحق.
وقلنا له ما حصل..وأخبرناه بالمكان الذي أشار إليه اللغز.
ستذهبان إلى مدينة جرسي.
يلزمنا خطة...
لابد أن العصابة قد أخذت حذرها..
أحمد: قد نجد شيئًا يهمنا في ذلك المكان ...
سيلقاكم هناك رجلٌ ليساعدكم كان ضخماً يشبه رجال العصابات، وكان أصلع الرأس، وعيونه تقدح كالصقر.
تمنيت أن يكون ذكياً؛ فتلك أهم صفة تفيدنا.
اسمه شامخ ...وقد تلقى تدريبات على أحدث الأسلحة ...وبعض الفنون القتالية ...
أمام الوزارة اكتظاظٌ بالمظاهرات السلمية، ويرفع المتظاهرون شعارات تتكلم عن سوء العلاقات مع دولة عماد الكمال، وتطالب بتغيير بعض المسؤولين، وتريد حلاً عاجلاً للأزمات التي تمر بها دولتنا ...
جوليا أيتها القلب التائه ، عصابة العجوز،شركة الأجهزة من العملاء، تذكرتُ اللغز الذي حدد جزيرة الحرية موقعاً لمقابلات أخرى، هل العصابة ستسمح لنا بالذهاب هناك؟

لا يمكن الاستغناء عنه

العالم: سنبدأ بما أعرف،جزء لا تنتهي فيه الشمس مثل هنا، نهاية بعض الأشياء لا يُشترط أن تكون للأبد؛ فقد تنتهي في وقت ما لتبدأ من جديد في وقتٍ آخر، والشمس هي أفضل مثالٍ على ذلك فتغرب عن أرض دولة معينة وفي نفس الوقت تطلع على دولة أخرى ويستمر ذلكً على دول الأرض بين نصفيها إلى يوم يبعثون.

العالم: لمن وجه اللغز؟

جميل: لأشخاص في الدلتا العربية...

إن شروق الشمس في الدلتا دونه غروب في ذلك المكان إذن لا يقع في دول العالم العربي.

ختمنا بعض الأوراق في المطار...

ذلك المكان يملك الحرية، ولكنه لا يحب لأحد أن يمتلكها. هذا لي فيه احتمالات.

فتح العالم بعض الكتب: ترد كلمة الحرية في تمثال الحرية، وفي جزيرة الحرية الواقعة في خليج نيويورك، وفي أسطول الحرية الذي توجه لغزة في فلسطين إذن هذا الاحتمال مستبعد.

إن تمثال الحرية يرمز إلى امرأة تخلصت من أغلال الاستعباد ، تمسكُ بيدها اليمنى مشعلاً و تحمل باليسرى كتاباً قد حُفر عليه بأحرف لاتينية، وهو تاريخ الاستقلال الأمريكي، وعلى رأسها تاج عليه سبعة أطراف ترمز للقارات السبع. ولكن أين نجد تلك المسافات ...سأتطلع في البحث أكثر.... يبعد تمثال الحرية 2، 6كيلومتر إلى الجنوب الغربي من مدينة مانهاتن، وثلاثين كيلومتر عن مدينة جرسي. أتوقع أن الرقم (30) قد ورد في اللغز.

مدينة جرسي منطقة سياحية تحتوي على الفنادق كذا وكذا، وعلى سلاسل جبال، تكثرُ فيها صخور النيس التي ترتفع 140متر فوق سطح البحر.

الرقم 140 قد ورد أيضاً.

لكن ما تفسير مَن يملك الحرية، ولكن لا يحب لأحد أن يمتلكها؟ اكتفى العالم بنظرة حادة...إن المكان مدينة جرسي.

جزيرة الحرية

لم تكن أول مرة أذهب إلى نيويورك ....ولكني أشعر أني لا أعرفها...

وصلنا وكان الطقس باردًا لدرجة التجمد فستقبلنا شامخ وبدأ الثلج بالهطول؛ كالقطن تماماً.

في طريقنا إلى ساحل البحر رأينا العديد من النوافير المذهلة ، إن الناس هنا يختلفون كثيرًا عنا، في عاداتهم وفي احتفالاتهم، وحتى في بعض طعامهم .

كان البحر مليئاً بالقوارب الشراعية، وذهب رجل الأمن تجاه الراسية منها.

أحمد: إنها مقاعد العشاق.

كان هناك طفلٌ يبني بيتا من الرمال؛ فأتى رجل شبه عاري الجسم على دراجة هوائية فحطم بيته فانفجر بالبكاء.

محمد: هل ترى مدى قيمة البيت للإنسان، فإذا كان هذا الطفل يبكي على قطعة من الرمال، فماذا سيفعل مشردون في الخيام؟

سأقبله.
الحمد لله.
سنذهب مع ذلك القارب إلى جزيرة الحرية .. سحب ربانه شيئًا كان في محركه؛ ليرسم خلفه أمواجاً قصيرة، وبدأنا نرى تمثال الحرية الضخم، وكلما اقتربنا منه فإن هدية فرنسا للولايات المتحدة تتضح معالمها ....
مدينة جرسي
كان القارب يمخر الأمواج ؛ فيرشقَ وجهي.
أحمد: ما رأيك بطريقة الاستحمام؟
محمد: بدائية، رأينا هواةً يمارسون رياضة التزلج على الأمواج..
وصلنا شاطئ المدينة: حسب الخريطة المكان مقسم إلى منطقة سهول تلتف حول السلاسل الجبلية "كلفحة" ملفوفة على رقبة أحدهم.
لابد أن تكون رقبة طويلة.
كان طريقنا إلى الجنوب، قد تكون رحلة جميلة، ولكن ليس في هذه الظروف.
أحمد: هنا دارت أحداث قصة "البؤساء "
رأينا صخور النيس بارزة على الجبال، وبلوراتها مرتبة في صفوف طولية ومتوازية، كان منظرها رائعا فخط صخري بلون داكن يعقبه آخر بلونٍ فاتح...
وصلنا إلى السهول الجنوبية وقد كانت بساطاً أخضرًا مزيناً بالبيوت ذات الأسقف الحمراء، وتتناثر عليها الثلوج لتُشكل بتجمعها قريةً لمربي الأبقار فكنا هناك كنقطة حليب تسقط في فنجان مملوءٍ بالقهوة.

مصائد الحيرة

رأيتُ لافتة مقهى كانت تعمل فيه فتاةٌ شقراء.
فسألناها عن مزرعة تقع في هذه القرية اسمها ستوتلان.
تقدمنا بالمشي حتى رأينا أول حرفين من الاسم على بناءٍ قديم.
محمد: إلى هنا انتهي دوري ....
إليكما هذه الفكرة لتدخلا إلى المزرعة، سأراقبكما بمنظار...
أشاهد رجلًا سميناً بلباس رعاة البقر يشحذُ شفرة فأسه، وإلى جانبه قطع من الحطب .
...اقترب أحمد وشامخ ورفعا أيديهما، وكأنهما يلقيان تحية بين خوارِ البقر .. غاب أحمد ثم عاد يقول: كان الرجل يلثغُ في كلامه، فقد خاطبته: نحن نملك مزرعةً في الجوار، وقبل أيام سطا لصوص عليها، وسرقوا كل أبقارنا التي تحمل علامة، وقد بحثنا مرارًا عنهم حتى علمنا أنك قبل مدة اشتريت أبقاراً بسعر رخيص قد تكون مسروقة.
الكل يحاول شراء بضاعته الجيدة بأرخص الأثمان.
أنا لا أصدقكم.
اسمع نحن لن نضرك، وذهب الرجل؛ ليفتح لنا مزرعته التي كانت نحو ثلاثين بقرة مقسمة في حظائر ثم طلبتُ من شامخ أن يغطيني بجسمه. مزقتُ قطعة من قِماش حقيبتي الداخلي، ولففتها على يدي وكأنها علامة.
رجل الأمن: لقد وجدتُ العلامة.

أحمد: في تلك اللحظة رميتُ القماشة على الأرض.
راعي البقر: مجرد أوساخ
رجل الأمن: أنا أعتذر، لقد خيل لي.....
قاطع أحمد: يا الله ؛ ذلك هو الطوق.
راعي البقر: هل تمزحان مجددًا...أقسم يا رجل..... أنك تعلم أنني أعلم أنك كاذب.
سنعطيك ثلاثة ألاف دولار ولكن قل لنا الحقيقة.
صمت الرجل ثم قال: قبل أسابيع أجر سيدي هاتين الحظيرتين لمالكي أبقار. عرف متأخرًا أنهم لصوص فطردهم.
أريد المال الآن...
سنعطيك ثلاثة ألاف دولار ولكن ما الذي يضمن أن هذه الأبقار ليست لنا؛ فليس سهلاً اخفاء الأطواق والعلامات ؟
سنذهب إلى الشرطة، نحن نشتبه بك. أنت اللص.
ما الذي جاء بكم ؟ هل فزت بكم بمسابقة؟
انتظرنا هنا سنعود قريبًا. وخرجنا من المزرعة وها نحن هنا.... هذه الصور التي التقطناها لكن بعد قطع الآف الأميال ...هل تظننا قد استفدنا شيئًا؟ فأنت ترى مجرد مزرعة وليست وكراً للعصابة.
لا أعرف لكن هناك ثُلمة في اللغز أو ربما كان وكراً في السابق ...
رجعنا إلى مدينة التحرير..
فقال العميد: ماذا حصل معكم؟ ...
محمد: لكن .....
إن لم نتقدم في القضية. سيقبض عليك ....إني بدأتُ أظنك صاحب جرائر.
فرصة جديدة وإن فشلتُ مجددًا سآتيك مقيداً بالأغلال.
كلهم يرفضون تولي قضية الانفجار وقد أصبحت حملاً يتعِبني جدًا.

جريمة قتل طبيب

خرج مستر عيمه بكفالة من السجن قبل مدة؛ لعدم توفر الأدلة الكافية. فأتصلتُ به...
الطبيب بخشونة: أهلاً.
هل يمكنني مقابلتك؟...
سأحضر أنا، والطبيب صادق، وستعتذر أمامه على ظلمك لي.
لقد فضحتني أيها المذنب....لقد فضحتني بين زملائي ...
إن قضيتي كالسفينة تغرق في الغموض في بحر الحيرة.
وصلنا إلى بيتي....جاءت أمي فقبلت يدها ...
كيف حالك يا حبيبتي؟
أفضل برؤيتك الآن...دخلتُ وأحمد غرفة الضيوف.
لقد وعدت العميد أنك ستثبت براءتك.
اكتفيتُ بالصمت فتابع: إن كنت تتهرب فسأقبض عليك .....
شعرت بالقبر يناديني كثيرًا فلماذا أخشى الموت الآن؟ سأبذل قصار جهدي، سأحاول التحقيق مع موظفي شركة الأجهزة.....
قاطعني جرس هاتفي ...

-مستر- سعيد: احضر الآن أرجوك.
حيرني أمرك يا سيدي...
قاطع الطبيب: إن صادق قد مات.
ماذا؟
لقد دعاني إلى مزرعته فوجدته مقتولًا، ساعدني أرجوك، إن أصابع الاتهام ستتجه نحوي.

إن الدماء قد خضبت بيت الضحية ...وكما في كل الجرائم كانت تخرج من ظهرها وكان وجهها مزرقاً.
معاذ: أهلا يا محمد، قل لي ما الذي أحضرك؟ وماذا حصل معكما؟
لا شيء. فجاء إلينا –مستر- سعيد وقال: أنا لم أفعل شيئًا.. لم أقتل أحداً...كنت في زيارته....
معاذ: نحن نتهمك بالقتل، فأظهر الطبيب سعيد خوفا لمجرم بعد كشف ألاعيبه..
محمد: أنت لم تكن صديقًا بل إبريقا مثقوباً لا ينفع وقت الحاجة ولا يحفظ الماء ولا حتى ماء وجهك موجود ....
لست القاتل صدقني؛ فأنا لا أستطيع ذبح دجاجة..
لقد أُرتكبت الجريمة في الساعة العاشرة مساءً، وقد اتصل بي الطبيب في الساعة التاسعة. ويقول هو أنه قد مرت ساعة ونصف بعد أن أنهى مكالمته أي وصل المكان بعد نصف ساعة من خروج القاتل، وقد كُتب على كف الضحية "أنا ما ذنبي" ، وقد وجدت بنفس وضعية الضحايا الثلاث.
معاذ: إذن الجميع متهمين حتى رقية وصاحب المعطف وراغب وآدم.
محمد: آه صاحب المعطف ما أكبر مكره.
معاذ: أظنه مستر سعيد وقد اختلق شخصية من لا شيء، لقد وجدنا هذه الأوراق وهذا ما كتب فيها:
تعلم كيف تتحكم بحواسك لتحقق طموحاتك التي وضعتها لنفسك وهي تحقيق العدالة بالانتقام ممن حرمك السعادة،إن كل الناس يكرهونك، ويتعاملون معك ببغض شديد .....والحب والمودة مواضيع قد اختفت من حياتك، وقد سرقها منك العالم الخارجي المحيط بك ... إنهم يتظاهرون بالطيبة ويخفون الشر في قلوبهم ...أنا معلمك وأعرف مصلحتك ...إن راحتك تكمن بالتفكير كيف تنتقم؟

معاذ: أظن أنها لطالب يدرس عند طبيب مريضٍ.
محمد: لقد انقلب السحر على الساحر فقتل الطالب معلمه...
إن علم النفس يؤثر في عقلٍ رقية العاطفي...
كونها عاطفية لا يعني أنها ضعيفة لا تدافع عن الحق....لم تكن أية بصمات ... ولا نار مشعلة...ولا قضبان مقصوصة ولا آثار لخلع أي نوافذ ...قد يكون الفاعل دخل من باب البيت.
معاذ: تم تدريب رقية فقتلت الخفاش وساعدت الطبيب في قتل النقيب وأظن الدوسية لها.
لقد راقبت العصابة صادق -كما تعلم-.

اقترب الوقت من الثامنة صباحًا .....فتجمع الصحفيون من جديد، وجاء أحد الأشخاص فخاطب معاذ: لم نصدق أن صاحب شركتنا قد قُتل...
قاطعته: شركة ماذا؟ ...فأجاب: لاستيراد الهدايا ...
صمت معاذ ليقول: هل هذا من تخطيط عصابة العجوز؟ أم هم منافسو تلك الشركة.....
معاذ: إن عصابة سعيد مكلفون بكنس الأعوان وهم تحت أوامر عصابة العجوز .....
جاء أمير: كيف حالكم؟
لقد حزنت عليه لكنه دائما يوبخ المدير العام ...كنا نسمع أن له تاريخاً في الأعمال السوداء ... فكيف بطبيبٍ يتقاضى دخلاً ميسورًا له ملكيات كثيرة .. ....إن كل المشاريع ستتوقف مؤقتاً بموته ...
عندها تذكرتُ قول أحد الحكماء، تذوق كلامك والحروف تقارب أن تخرج من فمك فإن شعرت بالاشمئزاز أرجوك امنعها من الخروج.
معاذ: ستسجن مع رفيقك عمر.
مواصفات القاتل: إنه ذكي، وغريب الأطوار، وكانت حياته مؤثرة عليه ؛ليكون مجرمًا، وسكيراً، وقد درس أو أحب علم النفس، ولا يجيد الكتابة بخط يده....
أحمد: إنها مواصفات غريبة.
أُخلي سبيل الطبيب بعد ثلاثة أيام ....
تذكرتُ بأن المزرعة في اللغز هي ستارة لشيء آخر، شعرتُ أن العميد مالك بدأ ينفد صبره وبدأ حبل المشنقة يقترب من عنق بريء، إن القاتل كان مقرباً من الضحية.

خائف من القتل

يجب أن نذهب إلى بيت سعيد حالًا .... خرجتُ من المركز الأمني وأنا أقول بصوت منخفض: كما يقول الرسول -صلى الله عليه وسلم- إن المرء على دين خليله ...فأكثر شخصٍ يعرف أسراري هو صديقي ...وإن كان المعلم مقتولا، فلماذا لا يُقتل صديقه العزيز؟
نحن لا نملك الوقت، في قتل النقيب أُتهم ايضاً الطبيب سعيد إذن هو شخصٌ إن لم يكن القاتل فهو مستهدف.
رن هاتفي، -مستر- سعيد: محمد أنا في ورطة.
تابع: كنت أقابل أناسًا تبين لي أنهم عصابة في الوقت الذي قُتل فيه النقيب ...ان مسرح قتله كان هدية من صادق الذي ورطني بالجريمة وابتزني....
تابع: لا شك أنها قتلته وسيأتي دوري، أرجوكم ساعدوني، تنهد –مستر- سعيد ثم انخفض صوته وكأن نفسه يُبتلع...
وصلنا بيت سعيد، وأول ما وقع نظرنا كان على حديقته ...لقد رأينا صاحب المعطف ...ثم انتبه إلينا؛ فتسلق سور البيت ..فتبعناه لكنه استطاع أن يركب سيارته ويهرب...
محمد: لم أستطع التعرف عليه فلباسه جيد للتنكر، لكن كأني أعرفه.
معاذ: الخطر الآن قد زال.
قد يرجع صاحب المعطف مرة أخرى...
عدنا باتجاه البيت فرأينا رجلا يقف وظهره لنا.
معاذ: أهذا الوقت لبائع..

لو عرف المسكين زبونه الكاره لثيابه، لهرب.
الطبيب: تفضل .... كنا نسمع صوتهما بدرجة منخفضة ..
عند سور البيت ...
محمد: هناك شيء لا يعجبني ..أرأيت كيف يترنح؟
معاذ: إن إصابتك بالانفلونزا تشعرك بنفس خموله.
لست مرتاحا ...لنذهب.. معاذ ...إلى إحدى النوافذ ...فاستغربنا لما رأيناه أمامنا ...
وكأن الطبيب يرفض عرض البائع ...
تذكرتُ حينها إبريق شاي مشتعل، وقد استطاع القاتل طعن ضحاياه بسهولة فقد كان على معرفة بهم ...هرعتُ إلى باب البيت وفتحته بقوة ...كان الزائر يحمل سكيناً .....فانقضضت عليه فوقعت من يده فأخذ يقول "أنا ما ذنبي " أنا ما ذنبي، كان كرجل مخمورٍ تمامًا.. ... جحظت عينا –مستر- سعيد....وكأنه لم يتوقع .....فعلًا كان يختار عطره بعناية... وكان ساكنا خفيف الظل في عمارة الصياد ...إنه الطالب المجتهد للطبيب صادق ...إنه راغب. لكن من هو مخطط الانفجار؟..
تذكرتُ راغب أداة كنس لكل من يقف في وجه تنفيذ اتفاقيات عملاء العدو، إن الانفجار كان خطوة لاشعال الحرب بين الدول.

الأمل يتلاشى

حضر رجال الأمن..... وكان أحمد موجودًا أيضاً.
المحقق عماد: أهنئك على إنجازك، ولكن اثبت براءتك ..
إن مهلة العميد لم تنتهِ بعد.
لن أستسلم لحبل المشنقة.
سأذهب إلى موقع الانفجار، وإن فشلت سأطلب من الله المغفرة كما أفعل دائماً .....مازالت آثار الدمار موجودة هناك .....كانت ثلاثة مفترقات من الطرق أمام موكب رئيس الوزراء
...معاذ: لقد وجدنا في المفترقين الآخرين سيارات مفخخة.
كان يكفي قنبلة واحدة فقط لو وضعت في نقطة التقائها ، ما الذي يوجد فقط في المفترقات؟ ... ما هو؟
يجب أن أرى فيديو الانفجار.
عماد: لكن ما الجديد؟
سأحاول.
بدأ عرض الفيديو، نحن نرى تحركات كثيرة للسيارات توقفت إحداها ثم نزل منها سائقها وبعد مرور وقت قصير انفجرتْ.
معاذ: ملامح السائق غير واضحة عن بُعد.
عماد: ليس هناك جديد.

محمد: كما تعلمان إن جهاز التحكم بها ذو مدى قصير...
بحثنا بين الأماكن القريبة من الانفجار، فلفت نظرنا بيتٌ متهاوي البناء ...
كلما يُبحث عن المتفجرات تعود السيارة المفخخة إليه.
عماد: لماذا لم تعمل أجهزة التشويش؟
محمد: لو بحثتم عن بيتين اخرين مهجورين لتأكدتم من قولي....
معاذ: فهمت البيوت موجودة قريبًا من المفترقات... تابع: لقد تخلصتْ من أعوانها... احذر من عصابتك...
عدت إلى سيارة الأمن فرن جرس هاتفي.
المتصل: انضم إلينا وسنجد حلا في اتهامك.
من تكون؟
حتى نبرأك من الانفجار...لا تثق بصديق... لا تثق بصديق.... أنا صاحب المعطف.
لم افهم ماذا يقصد بذلك؟
سأكشف عصابة العجوز وأجد رقية ....
عماد: حضر نفسك ستذهب مع المتهمين إلى المحكمة العظيمة.....ستتحقق بكم العدالة...
أحمد: أتمنى أن لا يصيبك مكروه...
محمد: الله لن يتركني...

في غياهب السجون

...وضعني معاذ في غياهب السجون.....
حبل المشنقة مشتاق لعنقك .....
مضى سواد ليلتي في السجن، وجاء الصباح وما زال رأسي ملاذا وبركاناً للأفكار المتراطمة، لقد كاد رأسي أن ينفجر قبل أن أطلب من رجل الأمن أن يحضر لي مُسجلاً وحبوب للصداع.....فسمعت خبراً: الأيام المقبلة ستعقد جلسة سرية في المحكمة العظيمة للبحث في ملف حكومة الدلتا، ويتنبأ بعض المحللين: إن انعقاد المحاكمة قبل الموعد المتوقع لها يدل على وجود أدلة جديدة.... قف الآن سنذهب.

محاكمة سرية في علن

... ..توقفنا بجانب منطقة عسكرية، ثم غطيت عيناي بقطعة سوداء لساعة حتى كُشف عن بصري في غرفةٍ بدون نوافذ، وكان أمامي المحقق عماد، ومعاذ جالسًا على كرسي ....
فخاطبني عماد: كن قوياً ، وإن كنتَ بريئاً حقاً فلا تستسلم، ثم سمعتُ صوته ينخفض: نَم الآن ...
لا أعرف كم مضى من الوقت قبل أن أكون في بيت جميل وبرفقتي المتهمين..
أنت في الجزيرة البركانية. والآن سنذهب إلى المحكمة...
رئيس المحاكمة: بدأت الجلسة ...مندوب الدلتا ليأتِ إلى المنصة ..
مندوب الدلتا: أسماء المتورطين بالانفجار أيها السادة، وخطتهم في هذه الملفات، وإن أهمهم يدعى محمد الأمين، والباقون هم رجال أمن أيضاً.. وننفي أي قولٍ يتهمنا بقتل مراد عيسى رئيس

الوزراء الراحل، وإنما المتورطون بذلك هم عملاء لطرفٍ لا نعلمه إلى الآن ...ومن على هذا المنبر الموقر نُعزي أسر الضحايا.
رئيس المحاكمة: الآن ليتفضل مندوب السلام لاعتلاء المنصة.
مندوب السلام: بدايةً أرحب بالحاضرين ...لقد دامت جهود أعضاء محكمتكم الموقرة لتحقيق العدالة والسلام بين دول العالم أعواماً عديدة، ولاشك أنكم تريدون فك النزاع الذي يدور في المنطقة حول جريمة قتل رئيس الوزراء الكمالي، إن ملفات حكومة الدلتا التي بين أيدينا تكشف تورطها بذلك.
في الاوراق التي قدمتها الدلتا ورد اسم متهم يدعى محمد الأمين...قبل ثلاثة أيام كُشفت عملية إرهابية كبيرة في نورمان (عاصمة الذهب الرافد)، وقد كان اسم منظمها سعيد خالد وله معاونين كثر، وأهمهم فتاة تدعى رقية وقد تم القبض عليها.
تابع: إنها شقيقة المتهم، وبين أيديكم ما يثبت تورطها في العديد من الجرائم في الدلتا،وقد قابل محمد المدعو سعيد خالد في مركز أمني في مدينة التحرير قبل أشهر؛ فلعلهما قد اتفقا على تنفيذ جرائم إرهابية عديدة ...ولكن للأسف إن أكبر نجاح لهم كان مقتل رئيس الوزراء الكمالي. في الآونة الأخيرة كان لشخصيات رسمية في الدلتا تحركات في الذهب الرافد إذ قابل أحد قواتها السرية ارهابياً هناك ...وكل الأدلة بين أيديكم ...لذا أتهم هذه الشخصيات الدلتاوية ومن وراءها بمؤامرة حكيت تجاه أمير السلام مراد عيسى ليكون الشرق الأوسط نار مشتعلة.
....فشكراً و أعتذر لإطالة الحديث.....
رئيس المحاكمة: مندوب الدلتا لك الرد على هذا؟...
اشكركم، إن تلك التحركات في الذهب الرافد كانت للبحث في أمر مقابلات أجرتها شركة الأجهزة مع عملاء العدو حسب شهادة ناطقها الاعلامي السابق ويدعى عمر والحالي ويدعى جون فرات. مؤخرًا وصلنا لبراءة رقية من الجرائم التي أُشير إليها.
تابع: لقد كانت جرائم ممنهجة لكنس الأعوان الذين ساهموا في حدوث الانفجار أو لازالة العقبات أمامه، وهذه الأوراق تبين ذلك، لكن أين رقية التي خُطفت في ظروفٍ غامضة من أشهر؟
جاءت لتدلي بشهادتها.
أرجو أن تحضر ....
مندوب السلام: كيف خططتم للانفجار؟
رقية: بمساعدة محمد الأمين رجل الدلتا.
محمد: استأذنكم بالحديث مع أختي. تفضل..
من أنتِ؟
أنا أختك..... كانت قنبلة مدمرة.
هل أنا قائدك بالارهاب؟
أجل.
أين أمي؟
لا أعرف..
هل يمكنك أن تحدثيني عن طفولتك ودراستك.
أريد الجنة..
لا تذكرين شيئًا.... أنا لا أعرفك...

مندوب الدلتا: أخته لا تتذكر شيئًا الا الجنة، وكأن مخها قد تم تغييره. أرجو منكم عدم ظلم الدلتا والخيانة حدثت للأسف والتقصير حدث رغماً عن حرصنا دائماً لحماية ضيوف دولتنا ونرى أن شركة الأجهزة متورطة وأطرافاً هي تعرفهم، عملاء، عملاء...
الرئيس: سننطق بالحكم بعد قليل...
عماد: وجدت أختك... ولكن...
الرئيس: بعد النظر بالأدلة التي بين أيدينا تبين لنا وجود نقص فيها... وأموراً ليست واضحة، لذا نعلن تأجيل المحاكمة...
محمد: إن قلوب عمران وأصدقاؤه والخفاش وعمر وراغب وصادق وغيرهم دمارٌ علينا إن بقيتْ لا تهتدي إلى الصواب.
في الطائرة قال عماد: هل سألت نفسك من الخائن؟
من يكون؟
أمسك عليك قلبك.... تابع: كان هاتفك مراقباً ...
ماذا حل براغب؟
لقد أجمع عدد من الأطباء على أنه يعاني مرضاً يدعى اضطراب الهوية التفارقي، وقد عمل الطبيب صادق على إحداث تغيير جذري في هويته العدائية لتتمحور حول عالم غير واقعي يصور فيه مقتل عائلته فيفعل بجثث الضحايا مثلما فعل المجرمون بها ... استغل صادق مرضه؛ وأيقظ عنده دافع الانتقام من العالم الخارجي لتبدو الهوية الهادئة ضعيفة أمام الهوية العدائية.
راغب: أنا ما ذنبي لأكون طفلاً صغيرا لا يرى نور عائلته، بين ظلام سراديب التعاطف من الأمهات المزيفات في الميتم بعد أن قُتلت عائلتي أمام عيني.. لقد أخفى ذلك الغريب خلف وعده طلقات مسدس ...فقد أصبحتُ مجرمًا كما وعد أبي قبل ستة وعشرين عاماً؛ فأبي رجلُ أمن نزيه يكره أمثاله .... (ملحق (1) عرف عدوه وما زال يحبه)
لا أعرف أين ذلك العجوز لكن لا شك يعرف راغب، لا بد أنه قُتل في عرض الغابة واحترق وأُخفيت جثته...
عماد: المحكمة العظيمة يصعب عليها أن تعاقب دولاً، أسهلُ عليها اتهام شخصيات معينة، وستقف عاجزة عندما يتعلق الأمر بسيدة الحرية...
سنجد التائهين في البرج حتى لا يقع على رؤوسنا.
ذهبنا إلى الصياد ... فجاءني اتصال: أنا يامان فعلت معك معروفاً في الغابة .....وأبعدتك عن عصابتي ...واتصلت بك في إحدى الجرائم، لكن أرجوك اطلب من راغب أن يسامحني ...أخبره أني من أشرف على نقله إلى الميتم تنفيذا للأوامر ...ولا تبحث عني فأنا في الخارج..
هل عرفت الخائن؟
لا.
لقد فكرت بعقلك ؛ فظلمت صديقك عمر، وفكرت بقلبك فانخدعت بأحمد.
لقد عاش أحمد شبابه في الخارج مع والدته الغربية،ولم يزر الدلتا قط إلا عندما وصل عمره الخامسة والعشرين كأمين شرطة، ألا يبعث ذلك على الاستغراب؟
لقد تعرفت عليه في ظل وحدتك فلم تفكر هل سينتمي إلينا أم إلى دولته التي وُلد فيها؟
قاطعني عماد: لقد وجدتك عصابة العجوز ضائعة ثمينة لهم كمستقبل محقق في بلده وقد سربت وثيقة اللغز لك عن طريق سعيد خالد ولنا بعد حدوث الانفجار بمدة... وأنت تعرف كان ذلك المكان مجرد مزرعة أبقار ولا يعتبر دليلًا لأي شيءٍ مهم ...

نعرف دائما بوجود الأعداء ونتوقع حدوث الأزمات، لفت أحمد انتباه مسؤولين بين رجال الأمن فراقبناه ثم راقبنا صديقه فبعد أن قابلتَ سالمًا، واتهمتَ بجريمة الانفجار اهتممنا بك كثيرًا، وقبل أسابيع قليلة وضعنا احتمال براءتك فغيرتُ كلامي معك.
محمد: لاحظت أن رقية كانت هدفاً لشيء ...فإيهامنا بوجود فتاة ساهمت في قتل النقيب، ثم أن تترك ورقة بخط يدها بجانب جثة الخفاش إذن هي ليست طبيعية أو مجبرة ومن الواضح أن الطبيب صادق كان يستغل معلوماته عن الضحايا حتى عن حياتهم الشخصية.
عماد: أنت مبدع كان معاذ ينقل لي تحقيقاتك فأذهب إلى مكان الجريمة فألقاك ...ففي البيت المهجور نُبهت بوجودكم فغادرت ومعطفي ...
محمد: لم أعتقد أن المجرم مريض....
لكنك أخطأت في شيء مهم.
ما هو؟
لم تأخذ بقول "لا تصدق نصف ما تبصر" فخدعتك القضبان المقصوصة ، وآثار الغبار .....

إن وجود قلادة ساعة عمران يبين لي أنه ذهب ليقتل صديقه فوجده جثةً ثم اتصل بك...
تابع: لم تعلم العصابة بصداقتك القديمة بعمر الا مؤخرا.
أجهزة التشويش عُطلت خدمة لعملاء العدو...
لو قبضنا على أحمد ما وجدت أختك...جازفنا بقضيتنا ولا نريد خسارتها...
فعلًا إن الشيء الذي لا يهمك يهم عدوك؛ فيدخل منه إليك؛ ليسبب لك ضربة قاسية قد تقتلك.

مؤخرًا وجدت صعوبة كبيرة في حل الشيفرة وربطها بكلمات اللغز الاتينية .....إن كل رقم في المعادلات الحسابية يرمز لشارع أو منزل، أو أي ملكية للضحايا .....لكن الرقم (11) لا أعرف إلى ماذا يرمز؟
إذن هكذا رتبت العصابة قتلاها.

ما أجمل أن نضحي من أجل الحب!

ذهبتُ إلى حيي في الصياد، وكأنني الآن قد عُدت إلى وطني ، الرقم (11)أحد ملكيات الضحايا ..ماذا؟ إنه رقم عمارتنا.
لعلها مجرد صدفة فرأيت فتاة تركض نحوي وتقول: ...محمد لا تخرج من مكانك ...لا تخرج من مكانك .... جفلتُ في موضعي ..فرأيتها تسقط أرضًا وبدمائها تنزف وهناك قناص على العمارة المقابلة وأنا أحتمي تحت مظلة، أطلقت النار تجاه لكنه ابتعد..
غلبتني دموعي وبدأت تنساب ببطء.
يا حبيبتي ..قومي ...كلميني الآن ..
شعرت ببطىء سيارة الإسعاف وصلنا المستشفى فحمل المسعفون جوليا على النقالة، وبدأتُ أُسرع معهم إلى غرفة العمليات وأنا أنظر إلى وجهها، وأدعو الله...مضت ساعتان في

العملية ...لقد سببت خيانة جوليا جراحاً عميقاً في قلبي، لكنها ضَحت بحياتها من أجلي لتثبت أن حُبها لي تخطى الحديث بلغة الأجساد ليتكلم بلغة نادرة لا يفوقُ صفاؤها أيُ لغة، هي أشبه بحديث الزوج مع زوجته في الجنة. وليس للحب بيننا أي معنى للصدق إن لم يتكلل بالزواج.

لقد فشلت العصابة في آخر خطوة وهي قتلي...يا سبحان الله الأعمار بيد الله ...

خرج الطبيب: تجاوزتْ المريضة مرحلة الخطر ...أسأل الله أن يشفيها...

نُقلت جوليا إلى غرفة أخرى، فبقيت إلى جانبها أتملى بنظري من وجهها ...كنت أحب أي شيء منها، أحب بكاءها، وضحكتها ...أحبها عندما تغضب، أحبها في كل حال لها ...ولا أعرف لماذا أحبها ...عيونها تلمع في وسط الليل مع دمعِها ...إني لأعشق حبي لها ..وأحمد الله لأني أحببتها ...جمالها ليس سبب عشقها ..فعيونها، والدموع في أطرافها أنا أبحر فيها. إن عيونها لي دواء ...وابتسامتها نذير بالشفاء...

مضت أيام لجوليا حتى استفاقت ..وأول كلمة قالتها ....سامحني..أرجوك ..لا تبتعد عني.

جئت لأنقذك بعد أن اتصلوا بي.....

مضى شهران حتى عادت صحتها أمام عيني فأقمت لها عرسا جميلاً ...ودعوت عمر وعماد، ومعاذ...وكل أصدقائي ..

جوليا في العرس: انظر إليها كيف ترقص؟

فقلتُ -شارد اللب-: أتمنى أن الضحايا قد استوفوا حقهم.

أصبح حبي لجوليا بعد الزواج أكثر عمقاً ...ومع المشكلات الكثيرة للحياة إلا أن حبنا استطاع تجاوزها ...وعادت عائلتي لتكون متماسكة من جديد.

تطيب النفوس في يوم لعائلتنا فيه نصيب
وتختفي آلام عظام في مودة اليوم العصيب
عصيب الحياة سهل في تعاون صاحبة النصيب
فيا ليت الأيام تعود لنعيش بهدى نبينا الحبيب

ظلم أم جوليا لي رماني في هوة الحنين ورماها في هوة الحسرة، ذلك أصبح من صفحات الماضي....

قلوبٌ ترى طريقها

انقضى ليلٌ طالَ جدًا مع اشراقة الشمس على القلوب التائهة... فشعرت أن أعداد المساجين ستقل شيئًا فشيئًا في بلدي، وأن السعادة ستعود إلى الذين نسوا طعمها، وستطول الزهور وتصبح عملاقة ويسمو الشعور ليأتي من نَفسٍ خلاقة .. وما زلت أحكي قصتي للناس وأنتظر تحقق كل أمنياتي.....

عرف عدوه وما زال يحبه

كان أبي يقترب مرارًا من النافذة في بيتنا؛ لينظر فيها ويُنصت إلى كل صوتٍ في الشارع ... فقال مرة لأمي: كأني أسمع ضجيج محركات سياراتٍ.
أمي متعجبة: وماذا في أمرها؟ ...إنها سيارات عابرة.
أبي: إنها تقترب منا.
دائما يصيبك الذعر من لا شيء.
اقتربتْ السيارات وبدأنا نسمع الصوت العالي لمحركاتها بوضوح ثم سمعنا ضرب أقدام.
لقد وصلوا.
من؟
خبئي أطفالنا في مكان آمن.
يا لعقلك الساذج...
أسرعي إنهم يقتربون.
كان أخي الكبير يلعبُ بدميته. أمي: قم من مكانك.
أخي الكبير: ماذا هناك؟
دعيني ألعب بأغراضي.
ردَ على أمك الحبيبة.
أخي –بضجر-: أف، سكان بيتنا مجانين!
اتبعني.
نحن في المطبخ لنجهز فطيرة مفاجأة أليس كذلك؟
لا تفتح هذه الخزانة حتى تنتهي أوهام والدك ...كانت تحن علي كثيرًا ...وغرفتي كانت آخر الرواق ... كُسر باب بيتنا.
أبي: ماذا تريدون في هذه الساعة المتأخرة ؟
الزائر: لم أستطع الصبر عليك أكثر من هذا.
تابع مخاطباً رَجله: هناك صغير في خزانة في المطبخ، أحضره.
لم أتصورك بهذا الغباء –أيها الأب -فنحن كنا نراقبك كما نفعل مع كل طرائدنا.
أخي الكبير: أمي أمي أنقذيني.
أمي: لا تخف يا بني..... فخاطبه الزائر: إليك هذا؛ فبلمسة حريرية تُسكت أحدهم ...إن أباكَ رجل الأمن النزيه يجب أن يسكت، فدائما يزعجنا في عملنا، وقد مللنا من متاعبه... بالَ أخي في ملابسه ... وأجبر على تنفيذ كل ما طُلب منه.
إن هذه لعبة، وفيها الفائز والخاسر. رجاءً، لا يمكنني أن أرى فتاة جميلة حزينة، سأريحك، خذي هذه الطلقة لكِ أيضاً.
انفجر أخي بالبكاء وهو يرى جثة أمي وأبي ثم قُتل أيضاً. إن اللعبة انتهت..وأخذ الزائر بالضحك، وقال بأعلى صوته لوردتين ذابلتين بينهما وردة لم تتفتح بعد، سأجعل من طفلك الصغير عدوك الذي كنتَ تحبه من قبل. لم أفهم أي شيء من هذا الكلام في صغري أيها المحقق محمد، ولكن كل شيء اتضح لي الآن وقد أصبحت مجرمًا.